

فتلة وثلاث عقد



التقت ثلاث صديقات بعد انتهاء يومهنّ الدراسي استعداداً لقضاء عطلة نهاية الأسبوع في منزل إحداهنّ كما اتفقن قبلها بعدة أيام. ركبت المجموعة الحافلة وجلسن بعضهن مع بعض في المقاعد الخلفية في انتظار وصولهنّ لمنزل (منى) وتناقشن بحماس فيما بينهنّ عن الأنشطة التي سيقمن بها خلال فترة بقائهنّ معاً.

(منى) لإحدى صديقتها: لم أتوقع أن توافق خالتي على قدومك معنا يا (سمر)؟



(سمر): كان ذلك بشق الأنفس! .. فقد مانعت لأخر لحظة خاصة أن
الامتحانات النهائية على الأبواب وهذه آخر سنة لنا في الثانوية وتريد
ان اركز في مذاكرتي للحصول على مجموع يؤهلني لدخول جامعة
مرموقة

(منى): وما الذي غير رأيها؟

(سمر): عندما علمت أنني سأكون معكِ وافقت في الحال لتقنتها
الكيرة بأملِك وحزمها في التعامل معنا والتي فيما يبدو أنها تفوق
تقنتها

(منى) ضاحكة : وماذا عنكِ يا (نجوى)؟! .. هل واجهتِ
الصعوبة نفسها في إتقان أهلك بالحضور معنا والمبيت عندي نهاية
هنا الأسبوع

(نجوى): لا أبداً .. أعتقد أنهم حتى لم يسألوا أين نحنُ ذاهبات فهم
مكثرون كالعادة برقمكِ للتواصل معكِ في حال احتاجوا لذلك ولا
أظن أن ذلك سيجدث

(سمر): أحسبك على ثقة أهلك بكِ

(نجوى): لا أستطيع تسميتها ثقة بقدر ما هي لا مبالاة

(سمر): أيّا كانت فهي أفضل من السجن الذي أعيش فيه .. ألا
تتفقين معي يا (منى)؟! .. فأملك لا تختلف كثيراً عن والدتي في حزمها
وحرصها المبالغ فيه

(منى): لا أعرف .. لم أشعر يوماً بأن حرص أمي مزعج لي بل على
العكس تماماً كنت أراه نوعاً من المحبة

(سمر) واضعة يديها على عنق (منى) ساخرة : حب خانق!

(نجوى) ممازحة : فلتتقايض الأمهات إذا! .. أسلوب أمكِ يعجبني!

(سمر): موافقة! .. أين عقد التنازل لأوقع عليه؟!

ضحك الثلاث وأكملن نقاشهن عن مخططاتهن حتى توقفت الحافلة
عند بيت (منى) ليترجلن منها ساثرات نحو عتبة الباب وقبل دخولهن
قالت (نجوى):

«ما رأيكما أن نتوجه للمطعم القريب من هنا ونتناول الغداء قبل أن
ندخل المعتقل؟»

(منى) ضاحكة : عن أي معتقل تتحدثين يا حمقاء!؟

(سمر): معها حق فأملك لن تسمح لنا بالخروج حتى انقضاء اليومين
ولن نرى نور الشارع إلا للذهاب للمدرسة



إنه لم يعد يقيم معنا منذ أن تعين خارج المدينة وقد ترك مهمة اختيار زوجته المستقبلية لأمي

(نجوى) : سيتزوج من فتاة لم يرها من قبل؟

(سمر) : ولم تتحدثين وكان الأمر شيء غريب وغير مألوف؟

(نجوى) : لكنه لا يجيها!

ضحكت الاثنتان على صديقتيها التي من الواضح أنها أصيبت بالغيرة وبدأنا تسخران منها ..

بعد دخولهن للمنزل ووضع حقائبهن على معاليق الملابس عند المدخل سار الثلاث لغرفة المعيشة حيث كانت (أم رجب) تجلس على إحدى الأرائك وهي سيدة مملثة الجسد بوجه قمري مشرق محجبة بحجاب أبيض وتلبس رداءً زهرياً غطى جسدها بالكامل يشبه في تصميمه الرداء المخصص للصلاة.

جلست بجانبها امرأة في الثلاثين من العمر تقريباً مكشوفة الرأس بشعر أسود طويل لماع لم تتعرف عليها صديقتنا (منى) ولم ترياها من قبل وقد بدت لها غريبة للوهلة الأولى فقد كانت سيدة بملامح حادة وعيناها مكتحلتان بكثافة فخطوط كحلتيها العريضة خرجت

(منى) : لا تقلقا لقد وعدتني أمي بأن تسمح لنا بالخروج مرتين وقد اتفقت معها على ذلك لكن ليس الآن لأنها أعدت لكما وليمة غداء للترحيب بكما

(نجوى) لـ (سمر) : هذه الوليمة تبدو كالطعم الذي يوضع في المصيدة

(سمر) : نعم .. قبل أن يطبق الباب علينا ويقفل

(منى) : كفا عن المشاكسة وهيا ادخلا!

(نجوى) بشيء من التردد والحجل : هل (رجب) سيكون موجوداً في الداخل؟

(سمر) ساخرة : انظري لوجهها كيف تبدل وهي تسألكِ؟ .. احذري منها فهي مفرمة بأخيك وقد تسبب لكم بفضيحة

(نجوى) بتجهم : اخرسي أنتِ ولا تتدخلِي!

(منى) ضاحكة : دعيتها فـ (رجب) قد طار من يديها .. أمي تنوي الذهاب غداً لتخطب له فتاة أخرى

(نجوى) بإحباط : تخطب له؟

(منى) : نعم .. أخي لم يعد ذلك الشاب الذي كان يتودد لكِ عندما كنتِ في الإعدادية فقد كبر وتخرج وأصبح موظفاً ويريد الزواج ثم



عن حدود محاجرها بعض الشيء ومعاصمها وأصابها التي حاولت إخفاءها على الفتيات عند رؤيتهن امتلات بالأساور والخواتم العريضة ذوات الفصوص الكبيرة ووشمت عليها بعض الرسومات البسيطة برموز غريبة وأنفها حُرم بفص أبيض لامع وعنقها تزين بعقد ذهبي ضخم مزركش بمجموعة من الفسافس الكرسالية بالوان زاهية بعكس أظافر الطويلة بعض الشيء والمبرية كالمخالب والتي صبغت بلون غامق غير مألوف مال لخليط بين اللونين الأسود والأزرق.

تقدمت (منى) نحو أمها وقلبت رأسها ويدها ثم مدت كفها الأيمن نحو المرأة وسلمت عليها برود وقالت : «كيف حالك يا خالة (أم حسن)؟»

تبسمت (أم حسن) وعيناها على الفتاتين عند مدخل الغرفة : «بخير يا أميرة .. ألن تعرفينا بصاحبك؟»

سارت الفتاتان وسلعتا على والدة (منى) وقلبتا رأسها فقامت هي بالتعريف بهما وقالت : هاتان هما أعز صديقات ابنتي (منى) .. (سمر) و(نجوى) .. يعرفن بعضهن بعضاً منذ المرحلة الإعدادية ولم يفترقن من حينها

(أم حسن) وهي تمنع النظر إليهما وبإسامة مربية : «الصداقة الوطيدة شيء جميل ..»

(منى) لأمها وقد بدا عليها عدم الارتياح :

«سوف نصعد لغرفتي يا أمي .. هل تريدن شيئاً مني؟»

(أم رجب) : لا يا حبيبتى .. سوف يكون الغداء جاهزاً بعد ساعة

(منى) وهي تشد صديقتها معها قبل رحيلها رامقةً (أم حسن) بنظرة :
حسناً يا أمي سنكون في غرفتي

خرجت الفتيات من غرفة المعيشة وخلال صعودهن السلام قالت (سمر) : «من تلك المرأة الغريبة؟»

(منى) بتضجر : جارتنا (أم حسن)!

(نجوى) : تبدو مربية .. لم أرتح لها أو لنظراتها

(منى) : لا أحد يرتاح لها سوى أمي

(سمر) : ولم تصاحب خالتي امرأة مثلها؟

(منى) وهي تدبر مقبض باب غرفتها : صدقي أو لا تصدقي فأمي تحبها



(نجوى) فائزة على سرير (منى) : تحبها؟ .. لكنها مختلفتان بعضهما عن بعض تماماً

(منى) فاتحة الستائر ونافذتها المظلة على الشارع :

«حاولت مراراً أن أنصحها بالابتعاد عنها وعدم استقبالها عندنا لكن لا فائدة .. تقول بأنها امرأة خيرة بالرغم من مظهرها ..»

(سمر) جالسة على أحد الكراسي : أعتقد أنها ساحرة

(نجوى) ضاحكة : ماذا؟! .. ساحرة؟! ..

(سمر) بنبرة جادة : نعم .. ألم تري شكلها وطريقة لباسها؟

(نجوى) : أنتِ واهمة

(منى) : في الحقيقة أتفق مع اعتقاد (سمر) .. سيطرتها على أمي غريبة

(نجوى) : كونها تحب الجلوس معها من وقت لآخر فهذا لا يعني أنها ساحرة تسيطر عليها .. خففي من خيالك الجامح

(منى) وهي تجلس على كرسي بجانب النافذة المفتوحة : لم أبنِ اعتقادي على هذا فقط ..

(سمر) باهتمام : ماذا لاحظتِ عليها أيضاً؟

(نجوى) وهي تستلقي بالكامل وتحديق بسقف الغرفة : أنتما مجنونتان

(منى) موجهة الحديث لـ (سمر) : رأيت أمي تمد لها بعض النقود خلصة في عدة مناسبات

(نجوى) بنبرة متهكمة وهي لا تزال تحديق بالسقف : تتصدق عليها .. ما المشكلة؟

(منى) مدبرة نظرها نحو (نجوى) : مشكلتي ليست في إعطائها المال بل في عدد المرات وفي الطريقة التي كانت تمدها أمي لها وكأنها تخشى أن يراها أحد

(سمر) : ربما لا تريد أن تنتقديها

(منى) : أنا لم أتحدث معها إلا مرة بهذا الخصوص وقد غضبت مني وأمرتني بعدم التدخل فيما لا يعنيني

(نجوى) رافعة رأسها معتدلة في جلستها على السرير : وأنا أنصحك بذلك أيضاً

(سمر) : هذا ما لاحظته فقط؟

(منى) : لا .. أمور أخرى أيضاً .. زياراتها المفاجئة وغير المعلنة والتي تكون أحياناً في وقت متأخر بالليل وأمي بالرغم من نومها في



وقت باكر بعد ما نصلي العشاء إلا أنها تنهض من فراشها بكل ندم
وتستقبلها دون أي تذمر وتجلس معها لعدة ساعات وكأنها لا تستطيع
رفض طلبها ناهيك عن توقفها عن الحديث عندما أدخل عليه
وتحويل الموضوع عني وكأنها تريد أن تنفيري من البقاء معها

(نجوى): كلها أمور طبيعية .. أمك امرأة وحيدة وجارتكم هنا
بالرغم من غرابة مظهرها فهي فيما يبدو أقرب صديقة لها وعلاقتها
وطيدة

(سمر): لكن لا تنكري أن خالتي (أم رجب) سيدة متدينة ومن غير
المألوف أن تصاحب امرأة مثلها

(نجوى): مثلها كيف؟ .. هل متحكمن على أخلاقها من شكلها؟ ..
لا يجوز لنا أن نصدر حكماً مسبقاً عليها ونحن لم نتعامل معها
(منى): أنا تعاملت معها وأعرف أن أخلاقها ليست سوية
(نجوى): كيف؟

نهضت (منى) من الكرسي ووقفت عند طرف النافذة وأشارت
نفسيتها بالاقتراب ..

بعد وقوفها بجانبها مدت سابتها نحو باب المنزل المجاور لها
وقالت : هذا بيتها

(نجوى): وما المشكلة؟

(منى): دائماً أحب مراقبة الشارع وأنا أذاكر ليلاً، وقد شاهدت أكثر
من مرة أناساً يزورونها في أوقاتٍ مختلفة .. نساءً ورجالاً .. وهي سيدة
عزباء

(سمر) يتهمكم : هذا لا يجعلها ساحرة بل عا ..

(نجوى) مقاطعة بغضب : كفا عن اللغو في أعراض الناس بهذه
التكهنات! .. كل ما قلته يا (منى) حتى الآن لا يثبت شيئاً!

(منى): ماذا لو قلت لك إن أمي طلبت منها مرافقتها غداً لمنزل الفتاة
التي ستخطبها لأخي (رجب) ولم تطلب مني أنا ذلك

(نجوى): ماذا؟ .. هذا أمر غريب فعلاً

(سمر): ولم تفعل شيئاً كهذا؟

(منى): أخبرتكما أن تلك المرأة تسيطر عليها

(نجوى): أستغرب من أنك لم تخبرينا بهذا الأمر من قبل



(منى): وماذا كنت سأقول؟ .. ثم إنني لم أصل لمرحلة القلق إلا بالأمر
عندما أبلغتني بأنها هي من سترافقها عوضاً عني وكانت حجتها أنها
لا تريد أن تتغلني عنكما وأترككما وحدكما وأنتما ضيفتان عندي
(نجوى): حجة منطقية لو سألتني

لجهمت (سمر) قائلة: لا ليست منطقية .. أنا أتفق مع (منى) .. علاوة
هذه المرأة مع خالتي ليست طبيعية

(نجوى) بهكم: وماذا تنويان أن تفعلنا؟ .. تبلغان الشرطة عنها؟

(منى): هله ليست فكرة سيئة .. لكن نحتاج قبلها دليلاً يدينها

(سمر): وكيف سنحصل على هذا الدليل؟

نظرت (نجوى) لها باستغراب وقالت: هل تسمعان أنفسكما؟ ..
أخطبة هل تسمعان الجنون الذي يخرج من أفواهكما الآن؟

(منى) عددة من النافذة بباب منزل (أم حسن): «أمي في خطر أنا
وثقة من ذلك ويجب أن أتقلما ..»

(سمر): ولنا معك ..

(نجوى): ولنا جميعاً وأرى أن ما تنويان القيام به عبث غير جيد
ومضمة للوقت

(سمر): ماذا تقترحين إذا؟ .. أن نصمت ونتجاهل الأمر وكأن لا
شيء يحدث

(نجوى): لا .. خالتي امرأة عاقلة وأرى أن نتحدث معها قبل أن
نقوم بأي شيء نندم عليه لاحقاً .. عندما نجلس معها على الغداء
نفتحها بالموضوع .. ما رأيكما؟

(سمر): ما رأيك يا (منى) في اقتراح (نجوى)؟

(منى): موافقة .. لآتمن فقط ألا تبقى تلك الساحرة على الغداء أيضاً

(نجوى) ضاحكة: أنت لا تزالين مصرة على أنها ساحرة!

بعد رحيل (أم حسن) جلس الجميع على مائدة الغداء التي عاون
الفتيات (أم رجب) في صف وترتيب أطباقها وخلال تناولهن الطعام
فتح النقاش وأثير الموضوع من قبل (منى) التي قالت: «نريد أن
نتحدث معك بخصوص أمر مهم ..»

(أم رجب) باسمة وهي تتناول بعض الحساء: ماذا تخططن يا بناتي؟

(منى): جارتنا ..

(أم رجب): (أم حسن)؟ .. ما بها؟



(سمر) : بصراحة يا خالة نحن لسنا مرتاحات لها

(نجوى) : صحيح يا خالتي هناك أمر مريب بها

(أم رجب) بتعجب : وهل تعرفانها كي لا تترتاحا لها؟ .. أنتما لم تقابلوا
إلا اليوم

(منى) : أنا أعرفها جيدًا يا أمي وأنفق معها .. تصرفات هذه المرأة
غريبة الأطوار

(أم رجب) مكملة تناول طعامها قائلة ببرود : وما الذي بدر منها كي
تقلن ذلك؟

(سمر) : هيبتها وثيابها ..

(نجوى) : الخلي والخواتم التي تلبسها ووشومها كذلك ..

(أم رجب) : مشكلتكَن إذاً مع شكلها وليس سلوكها

(منى) : لا .. زيارتها المتكررة لنا .. تعلقك المبالغ بها وعدم رفضك

لطلباتها .. إعطائك المال لها بدون تحفظ وأشياء كثيرة غيرها

(أم رجب) : هذه تصرفات تخصني ولا تخصها .. ما الحكاية .. قل

الصدق

(منى) : الحكاية بكل بساطة أننا نريدك أن تتعدي عنها لأنها امرأة
سيئة وستلحق بك الضرر عاجلاً أم آجلاً ..

(أم رجب) : أنتن وامهات .. لم أر منها سوى كل خير

(منى) : وهنا تكمن المشكلة

(أم رجب) وقد بدأت تثناء من الحديث عن الموضوع : ماذا تقصدين؟

(سمر) : صدقيني يا خالة أن تلك المرأة ليست طبيعية وقد تضمرك
الشر

(نجوى) : نحن خائفات عليك فقط من أن تعرضي للخطر

وضعت (أم رجب) الملعقة على الطاولة بجانب طبق الحساء وقالت
بهدهو :

«عن أي خطر تتحدثن؟ .. ماذا تردن مني أن أفعل؟ .. لا أستطيع

منعها من زيارتي فهي جارتنا وحق الجار على الجار أمر لن أفرط أو

أقصر به معها قلتن .. أنا لا أعرف ماذا قالت لكيا (منى) عنها لكن

(أم حسن) جارة لنا منذ سنوات ولم نر منها أي شر أو ضرر كما تدعين

وبالنسبة لحكاية المال فالمرأة فقيرة ومسكينة وأمد لها يد العون من وقت

لآخر وبالنسبة لتكرار زيارتها فلأنا من يطلب منها ذلك معظم الوقت



(منى) بتدمر : استماتك للدفاع عنها يا أمي هو ما يثير ريبنا الآن!
(أم رجب) : أنا لا استميت في الدفاع عن أحد لكن الحق أحق أن يتبع
وهو ما أذفع عنه وأنا لم أزم منها أي سوء أو كلام مزعج مثل ما أسمع
منكن الآن .. لا تكنن يا بناتي مشككات فيمن حولكن لمجرد كونهم
مختلفين عنكن أنتن أعقل من ذلك

(نجوى) : معك حق يا خالة

(سمر) : نحن أسفات وحدثنا كان فقط من دافع خوفنا عليك

نظرت (منى) بتعجب لصديقتيها اللتين رفعتا راية الاستسلام سريعاً
وقررنا الانصياع لأمها ..

(أم رجب) باسمه : أكملن غداءكن الآن ثم صلين العصر واطلبين من
الله أن يهديكن لما يحب ويرضى وأن يظهر قلوبكن من سوء الظن بعباده
وأنا سأدعو لكنن كذلك

(سمر) : حاضر يا خالة

(نجوى) : سنكون عند حسن ظنك بنا نعدك بذلك

(أم رجب) : وماذا عنك يا (منى)؟

(منى) : وهل هناك شيء يمكنني قوله بعد ما قالته الملائكة هنا؟

وزياراتها لي تؤنسي خاصة من بعد رحيل (رجب) وصديقتي (منى)
تقضي معظم وقتها بين أربعة جدران في غرفتها ولا أراها إلا ونحن
تناول الوجبات مثل الآن أو على الهاتف أو الخاسوب فلو كان
غريب أطوار فهو ابتي وليست (أم حسن)»

(سمر) : ماذا عن ملابسها والحلي الذي تلبسه يا خالة؟ .. ألم
غرابتها ريبك مثلنا؟

(أم رجب) : ملابسكن أيضاً غريبة وغير محتشمة أحياناً هل راي
أعلق عليها من قبل؟

(منى) : هناك فرق ..

(أم رجب) وقد تغيرت نبرة حديثها وبدأت تفقد هدوءها :

«ما الفرق؟! .. ألسنتن أنتن من تنادين دوماً بحرية الاختيار؟ ..
إذا تدخلن في اختياراتنا؟ .. مثلما تردن أن يحترم الناس اختياراتكن
احترمن أنتن اختياراتهم .. وماذا عني أنا؟ .. هل تعجبكن ملابس
المحتشمة أم يجب علي أن أغيرها كي لا تكون مثيرة لريبكن مني؟»
(نجوى) هامة في أذن (سمر) :

«الحالة صلبتنا وبددت حججتنا كلها .. أرى أن تنهي الحديث قبل
تقضي علينا تماماً ..»



(سمر) : من (أم حسن) بالطبع يا حمقاء .. لكن كيف؟

(منى) : نبلغ عنها الشرطة وهم يتولون البقية

(نجوى) : وما هي النعمة والأهم من ذلك ما الدليل عليها؟

(منى) : النعمة نحن متفقات عليها وهي أنها ساحرة خيئة وأما

بالنسبة للدليل فسوف نحصل عليه وسأثبت لأمي أنها على خطأ وأن

نفتها بها ليست في محلها

(نجوى) بخليط من التهكم والتشكيك : وكيف تتوين القيام بذلك

أينها المحققة؟

(منى) : سنزورها في منزلها وسنكشف أمرها

(نجوى) : تحدثين وكان الأمر سهل ثم ما الذي سنستفيد من

زيارتها ونحن لا نعلم كيف نتعرف على السحرة .. هل ستبحثين عن

مكنستها التي تخلق بها؟

(سمر) : كولي جادة في الحديث أو اصمعي!

(نجوى) : أنا جادة وأعتقد أنه بمكتي المساعدة في هذا الأمر

(منى) باهتمام : حقاً؟ .. كيف؟

أكمل الفتيات غداءهن وعاودن (أم رجب) في رفع الأطباق من على
المائدة وغسلها ثم صعدن لغرفة (منى) واجتمعن لمناقشة ما دريبيهن
وبينها ..

(منى) وهي تغلق باب غرفتها :

«من الواضح أن أمي ليست في عقلها وأن تلك الساحرة مبطنة
عليها ..»

(نجوى) وهي تجلس على طرف السرير :

«في الحقيقة كلامها يحمل شيئاً من العقلانية فنحن لا نملك أي دليل
على ما نقول سوى أن هيتها لم تعجبنا ..»

(منى) قاضمة طرف ظفر خنصرها سارحة : لا أعرف .. لنا خلفنا
على أمي

(سمر) بعد ما جلست على الكرسي بجانب النافذة :

«الأمر خرج من يدينا ولا يوجد شيء يمكننا أن نقوم به فعائلتنا لنا
تسمح لأحد بالتدخل في علاقتها مع (أم حسن) ..»

(منى) وسرحانها يتقطع : الحل هو أن نتخلص منها ..

(نجوى) : نتخلص بمن؟



(نجوى) : لا أعرف وإلى حين ذلك فلتنس الأمر ونستمتع بيومنا فقد
أخذ حصصاً كبيرة منه وأنا لم أت هنا للتحدث عن الساحرات
(منى) باسمه : حسناً هيا لنسأذن من أمي ونخرج للتنزه قليلاً في
المجمع التجاري القريب من منزلنا

وافقت (أم رجب) على خروج الفتيات شريطة أن ترافقهن وهن لم يمانعن
ذلك وأمضين عدة ساعات في المجمع التجاري حتى حلول المغرب
وعندها رن هاتف (نجوى) وهن جالسات في أحد المقاهي فارتبكت
لأن المنصل كانت زميلتها التي تواصلت معها سابقاً بشأن المعلومات
عن الساحرات ولم تتمكن من الإجابة عليها فوراً بسبب وجود والده
(منى) معهن فاستأذنت للنهوض ولكنها استوقفتها قائلة : إلى أين أنت
ذاهبة؟

(نجوى) بارتباك : إلى الحمام يا خالة
(أم رجب) بشيء من الاستكثار : من الذي يتصل بك؟
(نجوى) : هذه أمي .. اعتقد أنها تريد الاطمئنان علي
(أم رجب) : أبلغها سلامي ولا تتأخري

(نجوى) : أعرف فتاة بمدرستنا أخوها يعمل في الشرطة لعله يمكن
أن يفيدنا فقد سمعتها عدة مرات تتحدث عن مشاركته في حملات
مداومة لأوكار السحرة

(سمر) : لم أفهم .. ما علاقة ذلك بما نريد القيام به؟

(نجوى) : الشرطة لا تقبض على السحرة وتدينهم دون دلائل ولطفاً
دامغة وربما معرفتنا لبعض تلك الدلائل والمؤشرات التي يعتمدون
عليها تكون مفيدة لنا

(منى) : فكرة جيدة .. متى تستطيعين الحصول على هذه المعلومات؟
(نجوى) مخرجة هاتفها من جيبها : يمكنني الحديث معها الآن

(منى) بحماس : هيا إذاً ماذا تنتظرين؟!

تواصلت (نجوى) مع زميلتها وبعد محادثة قصيرة أغلقت الخط ..

(منى) : ماذا قالت؟

(نجوى) : قالت لي بأنها لا تعرف شيئاً عن هذا الموضوع لكنها سألته
أخاها وتعاود الاتصال به لاحقاً ..

(سمر) : ومتى ستصل؟



(منى) وأغلقن الباب خلفهن. حاصرت الفتاتان المتحمتان (نجوى) وانهالنا عليها بالأسئلة وهي بدورها أشبعت فضولها وأجابتهما قائلة: «أخبرني بأن أخاها قال لها إن أغلب من يُقبض عليهم ليسوا سحرة حقيقيين بل مجموعة من المحنّالين والمدعين للسحر وإنهم يدانون قانونياً على هذا الأساس لأنهم يبيعون الوهم للناس ويتقاضون منهم أموالاً مقابل خدمات مستحيلة التحقيق مثل الربط والتضيق وغيرهما ..»

(سمر): ومن قال إن تلك الخدمات مستحيلة التحقيق؟

(منى) بإحباط: لم نستفد شيئاً إذاً

(نجوى): ليس تماماً .. تقول بأن أخاها حدثها عن قسم خاص لمكافحة السحر والشعوذة في «هيئة مكافحة الفساد والرهبة» .. وأنه يعرف شخصاً يعمل في ذلك القسم ويمكن الاستعانة به في مثل هذه الأمور لكنه أرهقها تحقيقاً بسبب سؤالها ولم يزودها برقمه حتى أفنته أنها خدمة لإحدى صديقاتها وأن لا علاقة لها شخصياً بالموضوع

(منى): وهل أخبرتها أنتِ بشيء عن حقيقة ما ننوي القيام به؟

فتحت (نجوى) الحظ وقرتته من أذنها وسارت مبتعدة عن مكان جلوسهن وهي تقول: «حاضر سأبلغها ..»

بقيت الفتاتان صامتتين تراقبان صاحبتها تبعد عنهن وهما تعرفان من المتصل بها بسبب ارتباك (نجوى) الملحوظ لكن (أم رجب) أخذت تنحس نظراتها لها وقالت: ما بكما؟

(منى) معيدة نظرها نحو أمها بتوتر: لا شيء .. لا شيء يا أمي!

(سمر) رافعة كوب القهوة أمامها: نعم لا شيء يا خالة

صمت (أم رجب) ومن الواضح أن الشك تسلل لقلبها لكنها لم تقل شيئاً آخر وأكملت تناول قطعة من الحلوى كانت قد أنهت نصفها..

بعد عودة (نجوى) لم يتز موضوع المكالمة وقالت (أم رجب) وهي تسمع نداء صلاة العشاء يرفع من خلال مكبرات المجمع التجاري: «ها لنعود للمنزّل .. لقد بقينا طويلاً في هذا المكان .. أريد الصلاة على سجادتي»

عاد الجميع للمنزل وما أن دخلن حتى جرت الغيبات الثلاث للطائفة العلوي على عجالة مما زاد من الريبة والتوجس في قلب (أم رجب) التي اكتفت بمراقبتهن وهن يصعدن السلم جرياً حتى دخلن غرفة



فقامت (نجوى) بدس الهاتف في جيبتها بينما قالت (منى) بنبرة عالية مرتبكة : نعم!

فُتح الباب واطلقت (أم رجب) برأسها وحدثت بهنّ لشوانٍ ثم قالت : هل صليتِ العشاء؟

(منى) : سنصلي الآن يا أمي

(سمر) : حاضر يا خالة لقد نسيتنا

(نجوى) : أنا لا صلاة لي اليوم يا خالة

(أم رجب) : إذا أتبعاني أنتما وصلينا معي فمن الواضح أني لو خرجت فستباني مجدداً

(نجوى) : بالطبع لا .. أخبرتها بأن صديقة لي تشك في جارنهم ولها تُوذِي أمها بأعمال سحرية وأنها تريد التحقق من حقيقتها

(سمر) بتهمك : كل هذا ولم تخبريها بشيء؟

(نجوى) : لم أخبرها أي صديقة كنت أعني وفي كل الأحوال حصلنا

على شيء مفيد لنا .. رقم صديق أخيها الذي كان يعمل في الهيئة

(منى) : كان يعمل ..؟

(نجوى) : نعم .. قال لها أخوها بأنه قبل أن يعطيها رقمه تواصل مع

لبسأذن منه فعلم بأنه قدم استقالته منذ مدة بسبب قضية ما ولم يعد

يعمل في الهيئة لكنه أكد لها أنه كان الأفضل في ذلك القسم واستغله

لا علاقة لها بأدائه وخبرته

(منى) : لا يهم .. المهم أن نتواصل معه بأسرع وقت

(نجوى) : هل من اللائق أن نتصل به في هذه الساعة؟

(منى) : وما المشكلة؟ .. هذا ليس اتصالاً للتعارف يا بلهاء فله

استشارة .. هيا اطلبي الرقم واتحني الساعة كي نسمع جميعنا حديثي

(نجوى) وهي تدخل الأرقام : حسناً ..

قبل أن تكبس على زر طلب الرقم طُرق الباب فانتفض الثلاث جزأياً



ضباب الحقيقة



لحقت (منى) و(سمر) بـ (أم رجب) وتركتنا (نجوى) وحدها بالغرفة
وبعد أقل من نصف ساعة عادتا مجدداً ووجدتا صاحبتهما مستلقية على
الفراش غارقة في النوم وهاتفها على صدرها يصعد ويهبط مع أنفاسها
فلنت (منى) منها ووكزتها قائلة : «انهضي!»
(نجوى) فاتحة عينها الناعسة : لم تأخرتما؟



(سمر) وهي تجلس على طرف السرير : «الخالة أصرت على إعطائك بعض المواعظ بعد الصلاة ..»
رفعت (نجوى) هاتفها الذي سقط جانباً خلال جلوسها زافرة بارتياح :

دعكت (نجوى) النعاس من عينيها بقبضتها واعتدلت في جلسها «حصلت منه على الكثير ..»
قائلة :

(سمر) باستنكار : ما بها البلهاء؟

«يدو أن غفوت بعد حديثي مع (خالد) ..»

(منى) منهكة : يبدو أنها وقعت تحت تأثير سحر خبير السحر

سحبت (سمر) كرسياً وجلست عند السرير وقالت : (خالد) من؟ -

(نجوى) : نعم لن أنكر ..

صاحبك؟

(سمر) : وهل ستنتظر طويلاً قبل أن نكرمينا بما قاله حبيك الجديد؟

(نجوى) باسمه : لا .. الخبير

(نجوى) ضاحكة : حسناً اسمعنا .. شرحت له الأمر برمته وكان

(منى) : أي خير؟ .. هل تقصدين ..

متردداً في البداية في التحدث معي لكنه مع الوقت وتوسلاتي له

(نجوى) مقاطعة بنبرة حاملة : نعم .. خبير السحر والشعوذة .. صوّء بمساعدتي اطمان لي وتكلم

(منى) : وماذا قال؟

كان دائماً

(نجوى) : طلب مني إحضار ورقة وقلم وتدوين بعض الأمور وقال

(سمر) بعصية : لم تحدث معي في غيابنا؟!!

لي إنها مؤشرات يمكن ملاحظتها وطرق لو تمكنت من تطبيقها سوف

(منى) ملوحة يدها لها للسكوت : لا يهم ذلك .. هل حصلت؟

تحسم لي الأمر وأستطيع من خلالها لتحديد ما إذا كانت (أم حسن)

على شيء مفيد؟

ساحرة أم لا



(سمر) : لا أرى ورقة في يدك

(نجوى) : في الحقيقة لم أجد ورقة وقلماً وأخبرتته بأنني أحضرتهما لأنني خشيت أن يمل خلال بحثي عنهما وأنا لا أعرف أين نفسيهما في غرفتك

(منى) وهي تشير بسبابتها لمكتبها في أقصى الغرفة بنجهم : وماذا نظن أني أضع هناك .. طعاماً؟

(نجوى) : وقتها لم أفكر واعتمدت على ذاكرتي

(سمر) : دعينا من هذا الكلام .. ماذا قال؟

(نجوى) : سأبدأ بالمؤشرات .. ذكر أن الساحرات دون السحرة يكرهن تناول الملح المذاب في الماء ويتفرن منه بشكل كبير وملحوظ

(منى) بنبرة ساخرة : أمي لا تحب الملح بسبب ارتفاع ضغط دمه .. هذا ليس مؤشراً حقيقياً يمكن الاعتماد عليه

(سمر) بتهمك : وأمي تكره السكر لأنها مصابة بداء السكري .. هذا يعني أنها مشعوفة؟

(نجوى) بعصية : وما أدراك أني؟ .. هذا ما قاله!

(منى) مشيرة له (سمر) باسمه بصمت بأن تكفا عن الكلام ..

(نجوى) مستأنفة حديثها بنجهم :

«قال أيضاً بأنهن يكرهن الكلاب ويحببن القطط وغالباً تجدين مع كل ساحرة قطة تربيها وإذا لم تكن نقتني واحدة فستجدينها نحرص على إطعام قطط الشوارع بشكل متكرر ..»

(سمر) : أنا لدي قطة

(منى) : وأنا كذلك كنت أملك واحدة إلى وقت قريب .. ما هذه المؤشرات السخيفة؟

(نجوى) محاولة كظم غيظها : الحديث ليس عنكما .. لم لا تستوعبان ذلك؟

(منى) : ليس عنا نعم لكننا نحتاج أدلة حاسمة وليس أموراً يمارسها أغلب الناس

(نجوى) : لم تستمران بمقاطعتي؟ .. عندما أنتهي أتراني بتعليقاتكما كي لا نظير المعلومات من رأسي!!



(سمر) واضحة أصابعها الأربعة على فمها : حسناً .. حسناً .. أكمل

سئمت

(نجوى) زافرة : قال أيضاً إن الساحرات لمن علاقة وطيدة بالإبرة والحيط فهنّ إما أن يارسن الحياطة كمهنة أو كهواية وبممكن القطع القماشية من وقتٍ لآخر بسبب أو دون سبب ومؤشر آخر ذكره لي وأظنك ليس بمؤشر عادي وهو أنهنّ دائيات الاكتحال لكن بطريقة معينة مها اختلفت الرسومات وهي أن يخرج خط الكحل عن محاجرهنّ ولو بشيء بسيط وقد لاحظنا ذلك على جارتك اليوم اليس كذلك؟

(منى) : بل لكفي ما زلت غير مقتعة بهذه المؤشرات .. هل أخبرك بشيء غيرها؟

(نجوى) : لا .. هله فقط ..

(سمر) : ماذا عن الطرق التي قلتِ بأنه يمكن تطبيقها؟

(نجوى) : أه نعم صحيح .. نسيت .. فعلاً لقد ذكر لي بعدها بعض الاختبارات التي يمكنك تطبيقها لو استطعت

(منى) دون حلس : ما هي ؟ .. أظننا

(نجوى) : إن كان كلامي لا يعجبكما فلن أكمل

(سمر) بضحكة مصطنعة ماسحة على رأسها : لا لا .. أكمل لعل القادم أفضل ..

(نجوى) : قال إن السحرة عموماً يحرصون على استخدام يدعم اليسرى في كل شيء ويستخدمون اليمنى فقط عندما يريدون إخفاء هويتهم والتنويه على من يعتقدون أنهم يشتبهون في أمرهم

(منى) : ماذا لو كان أعسر؟ .. فهل هذا يعني أنه ساحر؟

(سمر) : دعيها تكمل ولا تقاطعيها كي لا تغضب مجدداً

(منى) : بصراحة أشعر بخيبة مما سمعت .. كلها أمور عامة لا يمكن قياسها ولا نحسم شيئاً من شكوكنا

(نجوى) : ربما ما قاله في آخر حديثنا قد يقنعك

(منى) : وماذا قال هذا العالم الفذ؟

(نجوى) : قال قد لا تنجح بعض تلك الطرق التي زودني بها لو كانت الساحرة التي سأختبرها قوية وممكنة واحتمال تجاوزها جميع هذه الاختبارات عالٍ جداً



(منى) ضاحكة: بالطبع سبضع لنفسه مخرجاً!

(سمر): لكن يا (منى) ما مصلحتك من ذلك؟

(منى): كي يوهنا بأنه صاحب علم .. هو لا يختلف عن السحرة اللذين يدعي محاربتهم .. كلهم مختالون .. الفرق بينه وبينهم هو أن القانون يقف في صفه ويعطيه صلاحية أكبر لفرض نظرياته المعطوبة

(نجوى): لكنه أضاف أنه من المستحيل أن نجتاز اختباراً واحداً تفشل فيه كل الساحرات القويات دون الضعيفات وهي أنهم لا يستطيعون المرور تحت الثريات الزجاجية أو الوقوف أسفل منها مدة طويلة (منى) باهتمام: وأخيراً ذكرت شيئاً يستحق .. هل أكد لك أن هذا أمر مستحيل عليها تحمله؟

(نجوى): نعم لكن هذا على الفراض أنها ساحرة قوية ذات رتبة عالية كما قال .. لكن لو كانت ضعيفة أو مبتدئة فسنجتاز هذا الاختبار بسهولة

(سمر): أعتقد أننا نطيع وقتنا وإن الأمر أسهل من ذلك بكثير .. نزردها في مترها ونحقق بأنفسنا ونسهي الأمر

(منى): هل أنت حمقاء؟ .. كل ما قمنا به هو كي لا نذهب هنا دون طريقة نتيقن بها

(سمر): صدقيني لا نحتاج لذلك .. لدي شعور قوي بأننا سنعرف دون كل هذا

(منى): هل هذا رأيك؟

(سمر): نعم .. ما رأيك أنت يا (نجوى)

(نجوى): في الواقع لست مطمئة لهذا الاقتراح

(منى): لا تأتي معنا إذا وابتقي هنا مثلما بقيت عندما ذهبنا للصلاة ونحدثني مع حبيبتك الجديد!

(نجوى): لم هذه الوقاحة معي؟!!

(سمر): هدئي من روعك يا منى نحن لسنا ضدك فلم هذا الانفعال؟

(منى) بعصية: لأنكما لستما واقعتين في المشكلة مثلي! .. تلك الساحرة تهدد أمني ويجب أن أضح حداً لها وبسرعة!

(سمر): وما دخلني أنا كي تضحيني معها؟! .. أنا أتفق معك!



(منى) ناهضة من مكانها : لقد اتخذت قرارى وسأذهب لها والآن! ..
هل ستأتين معي أم لا؟

(سمر) : لن أكرر كلامي.. أخبرتكِ بأني معكِ في كل ما تقررين

(منى) لـ (نجوى) بوجه عابس : وأنتِ؟!

(نجوى) : وأنا سأتي أيضاً

(منى) : حسناً هيا بنا!

(نجوى) : وماذا ستقول للمخاللة؟

(منى) : أمي تنام في هذا الوقت ولن تشعر بخروجنا ثم إن منزل (أم حسن) ملاصق لنا وليس بعيداً.. هيا لنضع حداً لهذا الأمر ونحسمه بشكل نهائي ونثبت أنها ساحرة حقيرة!

(نجوى) : ولو حسمتاه؟ .. ماذا بعدها؟

(منى) : ستصل بالشرطة بالطبع ليقبضوا عليها بعد ما نملك الدليل على إدانتها ..

عندما اكتملت الساعة التاسعة مساءً تسللت الثلاث نعلسة وبحدود شديد من المنزل بالرغم من أن (أم رجب) لم تكن في غرفة المعيشة

وأخذت (منى) معها مفتاحاً كي لا يضطرون لطرق الباب عند عودتهن وتوجهن مباشرة لمنزل جارتهما الذي كان يعد عدة خطوات منهن وطرقوا بابها. وقفن جميعاً يترقبين بخليط من الخماس والتوتر حتى فُتحت درفة الباب ليجدن (أم حسن) تقف أمامهن بيته أعرب مما شهدنها سابقاً فقد كانت حافية القدمين وأظافر أصابعها طليت باللون الأسود المزوج بالأزرق مثل أظافر يديها وتلبس لباساً قصيراً من الحرير الأسود مكشوف الأكتاف والمساحيق الثقيلة غطت وجهها خصوصاً الكحل الكثيف حول عينيها وعند رؤيتها هُنَّ تبسمت وقالت :

«ما الذي أتى بكنَّ في هذه الساعة يا بنات؟»

حدقت الثلاث بها بتعجب لعدة ثوانٍ وقبل أن ترد أي منهنَّ عليها تنحنت هي عن المدخل وقالت : «تفضلنَّ ..»

دخلت الفتيات بينما بقيت (أم حسن) تراقبهنَّ وهنَّ يدخلنَّ واحدة تلو الأخرى للمنزل ويقفنَّ تباعاً وسط غرفة المعيشة وعل وجوههنَّ الرهبة والتوجس وهنَّ يستكشفنَّ الأجواء الغريبة المحيطة بهنَّ فقد كانت جدران الغرفة مصبوغة باللون الأحمر الفاقع ولم يكسره سوى بعض القطع المرية التي عُلفت عليها مثل الأقمشة الصوفية والتحف



المعدنية وبعض الدمى القبيحة والجهاجم الحيوانية أبرزها كان جمجمة
تيس بقرون كبيرة. أغلقت (أم حسن) الباب وسارت بخطوات بطيئة
تأمل الفتيات بصمت وينظرات متفحصة حتى جلست على إحدى
الأرائك واضعة ساقاً على ساق ملتصقة علبة سجائر كانت على المنضدة
بجانبيها قائلة :

«ما بكنّ واقفات هكذا؟ .. تفضلن بالجلوس»

جلس الجميع على أريكة كبيرة أمامها ويقين صامتات يحدقن بها وهي
تشعل سيجارة بولاعة أخرجتها من جيب صدرها ..

(أم حسن) نافخة سحابة من الدخان باسمة بخبت : «بماذا يمكنني أن
أخدمكن؟»

فجأة وبدون مقدمات قالت (نجوى) : نريد عملاً

(أم حسن) صاحكة : عمل؟ .. عمل ماذا؟ .. هل أخبركن أحد بآني
أقوم بتوظيف العاطلات؟

حدقت للفتاتان الأخريان بصاحبتهما بنعجب لكنهما لم تعلقا ..

بهتت (أم حسن) وهي لا تزال تضحك وقالت :

«دعني أعدل لكن بعض الشاي فهذا ما أستطيع تقديمه لكن الآن!»
بعد خروج (أم حسن) من غرفة المعيشة للمطبخ المحاور التفت
(منى) على (نجوى) وقالت بعصية مكبوتة : «ماذا تفعلين؟ .. هل
جنت؟»

(سمر) بالعصية نفسها : هل تريدن كشفنا يا حقاً؟

(نجوى) بخليط من التحرج والندم :

«لا أعرف ماذا طرأ علي .. نظراتها لي أربكتني وشعرت بالتوتر وقلت
ما قلته ظناً مني أنه سيختصر الطريق علينا ..»

(منى) : من الآن وصاعداً اسكتي ولا تنفوهي بشي. واتركي الحديث
لي!

(سمر) بنجهم : نعم لا تتحدثي مطلقاً!

(منى) ملتفتة إليها : وأنت كذلك لا تتكلمي!

(سمر) : وماذا فعلت أنا كي تسكتيني؟

قوطة جداهنّ بعودة (أم حسن) بخطوات متبخرة لغرفة المعيشة
حاملة قطة بيضاء سمينة بين ذراعيها لتجلس مجدداً أمامهنّ باسمة

قائلة : «الإبريق على النار ..»



(منى) : فطة جميلة ..

(أم حسن) وهي تداعب عنق الفطة في حجرها بأناملها المدببة ونظروا مرتكز على أعين (منى) : «نعم .. القطة كائنات تملك عزة وأنفة ..»

(منى) ونظراتها تزداد حدة لأعين (أم حسن) المحدقة بها : ماذا عن الكلاب؟

(أم حسن) : ماذا عنها؟

(منى) : مارأيك بها؟ .. هل تعجبك؟

(أم حسن) موجهة نظرها للفطة خلال مداعبتها : لا أعرف فلم أقترب كلباً من قبل ..

(منى) : ولم لا؟ .. الكلاب حيوانات وفيه ويمكن أن تكون حراساً مفيدة لامرأة تعيش وحدها .. الوحدة شيء متعب للنفس

تبست (أم حسن) دون أن ترفع نظرها وقالت :

«أنا أميش وحدي منذ زمن طويل والأمر ليس بذلك السوء ولا احتاج أي أحد .. أستطيع حماية نفسي بنفسى ..»

لم تكمل (منى) حديثها وشعرت بأنها ليست مرتاحة لسبب ما من

هذا الحوار الذي استأنفته (أم حسن) بسؤال سألته وهي تضع الفطة البيضاء السمينة على الأرض عند أقدامها الخافية وقالت : «أخبريني يا (منى) كيف حال أمك؟»

(منى) بنهكم : أمي بخير .. ألم تلتقي بها اليوم؟

(أم حسن) : بلى .. أمك امرأة طيبة جداً .. أشعر بالراحة عندما أتحدث معها

(منى) : أعرف أنها طيبة وتعامل الناس بنية صافية لذلك لا أريد لأحد أن يستغل طيبتها تلك ويمسها بسوء

(أم حسن) ملتفتة لـ (سمر) : لم أنتِ صامتة؟ .. هل منعك أحد من الحديث معي؟

(سمر) بارتباك : أنا؟! .. لا ..

(أم حسن) موجهة سؤالاً آخر لـ (نجوى) :

«وأنتِ لمِ سكنتِ فجأة؟ .. كنتِ متحمسة للحديث قبل قليل .. لمِ خرستها فجأة؟»

(منى) : نحن هنا لغرض محدد وسنرحل في الحال

(أم حسن) معبدة نظرها لـ (منى) :

«تردن عملاً كما قالت الجميلة ذات الشعر الطويل؟»

(منى) : لا .. نريد شيئاً آخر

(أم حسن) : في كل الأحوال أنا سعيدة لزيارتك فأننا لا نحظى بالزوار

إلا لغرض العمل

(سمر) : وأي نوع من الأعمال تمارسين؟

أشارت (أم حسن) لطاولة وراءها فوجه الفتيات أنظارهن نحوه

وشاهدن مكنة ومجموعة من أدوات الخياطة من بينها إبرتان طولبتان

للحياكة اليدوية فقالت (نجوى) وهي سارحة في ذلك المنظر برفق

معدودة : «هل تحين الحياكة؟»

(أم حسن) : في الخفيفة هي عملي ومصدر رزقي ..

(منى) : لم أسمع بذلك من قبل؟

(أم حسن) : لقد اشترت أمك مني بعض القطع من قبل .. ألم تحب ذلك

بملك؟

(منى) : لا .. لم تحبها بشيء

(أم حسن) موجهة الحديث لـ (نجوى) : بأي صف تدرسن الآن؟

(نجوى) : سنتهي السنة الأخيرة من الثانوية هذا العام

(أم حسن) : جميل .. العلم نور كما يقولون

(منى) بنبرة فيها شيء من التهكم والتحقير : ماذا عنك أنت؟ .. هل

أكملت دراستك؟

(أم حسن) محرقة ساقها وقدمها الحافية فوق ركبتيها بطريقة استفزازية

: «أنا أدرس حالياً ..»

(سمر) : تدرسين ماذا؟

(أم حسن) بابتسامة صفراء : نوع من أنواع التعليم الذاتي كما تسمونه

(منى) : في أي تخصص؟

نهضت (أم حسن) بعد ما سمعت صفير إبريق الماء في المطبخ وهي

تقول :

«تخصص لن تجدوه في المدارس أو الجامعات ..»

بعد ما دخلت (أم حسن) للمطبخ وتوارت عن الأنظار بدأ الفتيات

يتجادلن بصوت خفيض ..



(منى) بحماس : لقد كنت على حق! .. ألم أخبركما؟!

(نجوى) : تخبريتنا بماذا؟ .. المرأة طييبة

(منى) : طييبة؟! .. ألم تشاهدي ما شاهدته للتو؟!

(سمر) : شاهدتِ ماذا يا (منى)؟ .. نعم هي غريبة الأطوار بعض

الشيء لكن هذا ليس دليلاً حاسماً على ادعائك أنها ساحرة

(منى) بغضب : أصبح ادعائي أنا فقط الآن؟! .. ألم تري كيف ..

توقف الجميع عن الحديث عندما عادت (أم حسن) تحمل صبي

استقرت فوقها علبة سكر غُرس فيها ملعقة مذهبة اصطف بجانبها

مجموعة من الأكواب الصغيرة تصاعدت منها الأبخرة وتدل من كل

كوب بطاقة ورقية خضراء مربوطة بخيط رفيع ربطت نهايتها بفنجان

شاي غمست وسطه وبدأت بتوزيعها أمام الفتيات بيدها اليسرى

وخلال ذلك كانت (منى) تومئ برأسها لصاحبتها لتلاحظ ذلك

قامت (أم حسن) بعدها برفع علبة السكر باليمنى وأمسكت الملعقة

لللحظة باليسرى وقالت : «كم ملعقة من السكر تفضلن؟! »

(سمر) : أنا لشره بدون سكر

(أم حسن) لـ (نجوى) : وأنتِ يا جميلة؟

(نجوى) باسمة : ملعقتين ..

(أم حسن) بعد ما وضعت ملعقتين في كوب (نجوى) وخلال تقليبها

للسكر ونأملها لسطح الكوب : وأنتِ يا (منى) ..؟

(منى) : لا أريد ..

جلست (أم حسن) مكانها بعد ما انتهت من قلب كوب (نجوى)

وقالت لـ (منى) :

«لا تريدن سكر أم لا تريدن تناول الشاي ..»

(منى) : أريد فقط معرفة الحقيقة

(أم حسن) باسمة بنظرة متسائلة : أي حقيفة؟

في تلك اللحظة سمع الثلاث ما يشبه البكاء البعيد .. بكاء طفل لم

يتجاوز الخامسة أو السادسة .. كان الصوت مكبوتاً وبعيداً ولم يبدو أنه

قادم من وسط المنزل ولم يكن بالإمكان لتحديد الجهة التي صدر منها

لكنه بلا شك كان واضحاً بالرغم من خفته وضآلته.

(منى) بأعين متسعة : ما هذا الصوت؟!



(نجوى) معبدة كوب الشاي الذي أخذت منه رشفة بسيطة على سطح

الطاولة : «كأنه صوت طفل يبكي ..»

(سمر) لـ (أم حسن) والتي تغيرت ملامح وجهها وبدأ واضحاً عليه

القلق : «هل لديك أطفال ..؟»

(أم حسن) : أخبرتكَنَ بأنني أعيش وحدي

(منى) بنبرة استجوابية : ما هذا الصوت إذاً؟

(أم حسن) : ولم أترضيت أنه قادم من منزلي؟ من الواضح أنه قادم من

الخارج .. من منزل أحد الجيران على الأرجح

(نجوى) لـ (منى) المستمرة بالتحديق بـ (أم حسن) بنظرات مشككة :

«معها حق يا (منى) الصوت بعيد ..»

(منى) لـ (نجوى) دون أن تحيد بنظرها عن أعين (أم حسن) المتوترة :

«لا أحد من جيراننا لديه أطفال بهذا العمر ..»

(سمر) : ماذا تريدن أن تقولين؟

(أم حسن) بنبرة متحدية ونظرات طاعنة : نعم يا (منى) .. ماذا تريدن

أن تقولين؟

(منى) بثقة وتحذُّ أكبر : أنا لا أقول أنا الأخطى فقط ..

(أم حسن) ناهضة من مكانها :

«يمكنكَنَ إكمال ملاحظاتكَنَ في الخارج .. حان وقت رحيلكَنَ ..»

(منى) : هل تطرديننا؟

(أم حسن) باسمة وبنبرة متهكمة : نعم .. كي أعتي بطفلي الذي يبكي

(نجوى) تشد معصم (منى) وتقف : هيا لنذهب!

استمرت (منى) بالتحديق بـ (أم حسن) الواقفة أمامها وتنظر إليها

بصرامة لعدة ثوانٍ ثم نهضت وخرجت مع صاحبتيها ..



الطريق الممهد بالأشواك



لم تناقش الفتيات فيما حدث في منزل (أم حسن) حتى عدن ودخلن
غرفة (منى) عند العاشرة تقريباً وأغلقت الباب خلفهن وعندها فقط
اشتعل الحديث فيما بينهن ..

(منى) بخليط من الحماس والسخط : «هل تحققتما الآن أم أنكما
تحتاجان للدليل آخر؟!»

(سمر) : لا مجال للشك الآن .. هناك شيء مريب يحدث في ذلك المنزل
(نجوى) : لا أريد أن أكون الصوت المحبط هنا ولكني ما زلت غير
متيقنة

(منى) : تيقنين من ماذا؟ . ألم تسمعي ما سمعناه؟



(نجوى): بل .. لكن ..

(سمر) مقاطعة: لكن ماذا يا داهية؟

(نجوى): الصوت لم يكن صادراً من المنزل .. ذلك كان جلياً .. ولا

حتى من الطابق العلوي .. وكما قالت بأنه على الأرجح صادر من بين
أحد الجيران

(منى): أي جيران؟! .. نحن المنزل الملاصق لها عن يسارها وعن يمينها
تسكن (أم علي) وهي سيدة كبيرة تعيش وحدها مع خادمتها .. فعن أي
جيران تحدثين؟!

(نجوى): وهل هذا الصوت والذي ما زلت أشك بمصدره كافٍ لتبلغ
الشرطة؟ .. سوف نظهر بمظهر سيم ومخرج إذا لم يجلدوا شيئاً .. لعد
مجرد صوت التلفاز أو المذياع صادر من بين جارتكم (أم علي)

(منى): بالطبع لا .. هذه الزيارة كانت فقط لتحفيزي للإقدام على
الخطوة الأصلية بلهني

(سمر): أي خطوة؟

(منى): أنا لم أصرح عن نيتي الحقيقية خشية أن تتراجعا لكني سوف
أخبركما الآن بعد ما حصلت على الخيط الذي احتاجه .. سوف نعود

مرة أخرى غداً لمنزلها دون علمها ونفتشه حتى نجد الدليل الذي
نبحث عنه

(نجوى): ولو كشفنا؟!

(منى): هي لن تكون موجودة من الأساس وقتها .. هل نسيت أنها
سرافق أُمي في مشوارها لمنزل تلك الفتاة التي تريد خطبتها لأخي

(سمر): نعم صحيح .. نسيت هذا الأمر

(منى): وقتها ستكون الفرصة سانحة لنا للتسلل لبيتها والبحث كما
نشاء دون أي منغصات

(نجوى): وكيف سندخل؟

(منى): ستقفز إحدانا من فوق السور بالطبع ونفتح الباب للبقية

(نجوى): وإذا شاهدنا أحد من المارة في الشارع ونحن تسلق السور؟

(سمر): هل أنت حمقاء حقاً أم تتظاهرين بذلك؟ .. لم نخرج للشارع
والبيتان متلاصقان؟ .. بالطبع سوف تسلق من الفناء الخلفي لمنزل
(منى)

(نجوى) والصفة كلفها على جبينها: آه نعم .. اعذراني .. منذ أن عدنا
من بيتها وأنا لا أشعر بأي بخير وتركيزي مشتت



(منى) بقلق: ما بك؟

(نجوى): لا شيء.. فقط أشعر ببعض التعاس

(منى) رافعة اللحاف عن فراشها: تعالي.. يمكنك الاستلقاء على فراشي للنوم

(نجوى) سائرة نحو السرير: «أنا مستغربة من هذا التعاس في هذا الوقت.. إنه ليس وقت نومي المعتاد..»

(سمر): لقد كان يوماً مرهقاً لنا جميعاً

(منى) وهي تغطي صاحبته بعد استلقائها: لا بأس نامي وسود نلحن بك بعد قليل

(نجوى): وأين ستامان؟

(منى): أمي أعدت لنا بعض الأغذية والمخدرات لا تقلقي

أغمضت (نجوى) عينها وغطت مباشرة..

(سمر) تتألمها باسمة: المسكينة تبدو متعبة بحق

(منى): مع أنها أخذت غفوة اليوم عندما تركناها وذهبنا لنصلي مع أمي

(سمر): بالحديث عن أمك.. لا تقلقي لن يحدث لها شيء

(منى): لا أعرف يا (سمر).. تلك المرأة وبالرغم من أن معرفتنا

بها ليست بالقصيرة وكنت دائماً مرتابة تجاهها لكن ولأول مرة أشعر بالخوف بحق منها وعلى أمي وأخشي ألا أستطيع حمايتها منها

(سمر) واضعة كفها على كتف صاحبته: «أعدك بأننا لن نخرج من منزلنا غداً دون دليل بدينها ويعددها عن طريقك وطريق خائتي للأبد..»

بعد عدة ساعات قضتها الفتاتان في الحديث بأمرٍ أخرى قررتا الخلود للنوم فأعدتا لهما فراشين بسطناهما على الأرض بجانب السرير الذي استلقت عليه (نجوى) وأطفأتا الأنوار وسارت (منى) لتغلق الستائر لكن استوقفها مشهد في الشارع رأيته من خلال النافذة وقالت له (سمر) وهي تشير لها بالاقتراب: «تعالي هنا وانظري..»

نهضت (سمر) من فراشها ووقفت بجانب صاحبته تشاركها النظر وهي تقول: ماذا؟

أشارت (منى) بسبابتها لسيارة كبيرة تقف أمام منزل (أم حسن)..

(سمر): ما هذه السيارة؟

(منى): تلك السيارة.. نزل منها للتو رجل ودخل بيت (أم حسن)

(سمر): ما معنى ذلك؟



(منى) وهي تلتقط صورة للسيارة بهاتفها :

ولا أحرف لكن السيارة لا تزال تعمل .. لتنتظر قليلاً حتى نرى ..
سيحدث ..

بعد أقل من عشر دقائق خرج الرجل حاملاً كيساً قماشياً كبيراً عن
كفحه ووضع في صندوق السيارة وقبل أن يرحل عاد لعنبة المنزل
ومد له (أم حسن) ما بدا أنه مبلغ من المال ثم ركب سيارته ورحل
(سمر) : ماذا تظنين أن يكون محتوى الكيس .. ملابس ؟

(منى) : الطريقة التي حمل بها الكيس لا توحي بذلك .. لقد كان شيئاً
أثقل من مجرد ملابس
(سمر) : ماذا يكون إذا ؟

(منى) : لا أحرف لكننا سنعرف غداً عندما نقوم بتفتيش منزلها
(سمر) : لقد بدأت أشعر بالخوف يا (منى) .. أخشى أننا نعبث في أمر
أكبر منا

(منى) : لم أصبحت تتحلمين كـ (نجوى) ؟ .. هل ستخفين عني ؟
(سمر) : لا أبداً .. أنا معكِ للنهاية .. لكن .. لكن أرجوك كوني حذراً
دوماً

تلقت (منى) صاحبها القلقة وهمت في أذنها قائلة : سأكون بأمان
والتيامي .. أيتها سندي دوماً .. وأعدك .. سأكون حذرة
لبيت الاثنان يومها بإغلاق الستارة والخلود للنوم ..

في اليوم التالي فتحت (نجوى) عينها وفضت بنقل من فراشها
وهي تشعر بالوهن والإرهاق والتفتت حولها ولم تر أحداً في الغرفة
ولاحظت من خلال النافذة أن الوقت كان مساءً فقالت محدثة نفسها
: لقدلمت مدة طويلة ..

خلال ذلك دخلت (منى) عليها وعندما رأت أنها استيقظت جلست
على طرف السرير وقالت باسمه : كيف كانت نومتك ؟ .. لقد أطلت
كثيراً ..

(نجوى) بنيت من التيه والضياح : كم الساعة الآن ؟

(منى) : قرأت على الساعة مساءً

(نجوى) بتدهاش : هل نمت كل هذا الوقت ؟

(منى) : نعم وكنا متصعبتين من استغراقكِ في النوم بهذا الشكل لكننا
لم نشأ بذلك



(منى) : أنتِ أكثر واحدة فينا نحالة ورشافة وسقوطك إن حدث
سيكون أخف وطأة منا

(سمر) وهي تبدأ بتسلق السلم : لو حدث لي مكروه فسيكون ذلك
في أعناقكم

(نجوى) وهي تثبت السلم بيديها : لا تقلقي لن يحدث لك شيء

قزت (سمر) فوق السور بسهولة وهبطت بأقدامها ويديها في فناء
(أم حسن) بنجاح وفتحت الباب الرئيس لصاحبتها اللتين خرجتا
وتوجهتا لباب البيت بعد ما تحققتا من خلو الشارع من المارة وخلال
دقائق أصبح الثلاث وسط غرفة المعيشة وأشعلن الأنوار وعندها
صلعن رائحة غريبة.

(سمر) باشمتراز : ما هذه الرائحة ؟ .. لم تكن موجودة بالأسس ؟

(نجوى) : كأنها رائحة بخور العود لكنها مختلطة برائحة أخرى مفيضة

(سمر) : اعتقد أنها رائحة بخور العنبر

(منى) : لا هذا ولا ذاك .. هذا بخور الـ «مصطكي» .. أمي تشعله من
وقت لأخر لإزالة رائحة الطبخ خاصة عندما تظهو السمك وبالفعل
عندك رائحة أخرى مختلطة معها لا أستطيع تمييزها .. لكن دعنا من
هذا الآن ولنبدأ في البحث قبل أن يداهنا الوقت

(نجوى) واضعة يدها على قمة رأسها : أشعر بصداع شديد وعطش
أشد

(منى) وهي تمهم بالنهوض : سوف أحضر لك مسكناً وكوباً كبيراً من
الماء

(نجوى) : أين (سمر) ؟

(منى) : مع أمي تساعدنا في التحضير للذهاب لمنزل أهل الفتاة التي
ستخطبها لـ (رجب)

(نجوى) : هل ما زلنا نسمعني بخطبتنا ؟

(منى) : نعم .. مترحلان بعد ساعة ووقتها سيكون منزل (أم حسن)
خاوياً وسنتغل فترة غيابها مع أمي وندخله

وبالفعل بعد خروج (أم رجب) و(أم حسن) توجهت الفتيات لفناء
المنزل الخلفي حيث أحضرت (منى) سلماً معدنياً وأسندته للجدار
الفاصل بين المنزلين وقالت :

«من منا ستقفز فوق السور لفتح لنا الباب؟»

(نجوى) : (سمر) بالطبع

(سمر) : ولم أنا بالذات ؟



(سمر): ومن أين سنبدا؟

(منى) جائلة بنظرها من حولها: لتفرك ونبحث كل على حدة ومن نجد شيئاً تناد على البقية

توجهت (نجوى) نحو السلام قائلة: «أنا سأبحث في الطابق العلوي..»

(سمر) سائرة نحو المجهز آخر: وأنا سأبحث في المطبخ

وقفت (منى) وحدها وسط غرفة المعيشة ثم قالت محدثة نفسها: «سأبحث هنا إذا..»

بعد ما يقارب نصف الساعة من البحث لم تجد الفتيات أي شيء مثير للريبة أو يرقى لى أن يكون دليل إجابة يمكن أن يقدمه للشرطة فاجتمعن مرة أخرى بغرفة المعيشة وبدأن يناقشن فيما يتهن عن فكرة إنهاء رحلتهم الاستكشافية والرحيل قبل أن تعود (أم حسن).

(منى) بخليط من الحيرة والتردد: لكننا لم نجد شيئاً يدينها!

(نجوى): وقد لا نجد.. ربما يكون كل ذلك في رؤوسنا فقط

(منى): مستحيل!.. لا بد وأن هناك شيئاً لم نتبه له!

(سمر): الليت أمامك.. هل وجدت شيئاً خارجاً عن المألوف؟

(منى): لقد وجدت في الحمام الكثير من الملابس المتسخة والمتراكمة

وكذلك في حوض المغسلة رأيت كومة من الشعر تسد فتحة التصريف

(سمر): وأنا وجدت طائراً ميتاً على الأرض

(نجوى): هذا لا يعني شيئاً سوى أنها مهملة في تنظيف المنزل لا

أكثر.. أعتقد أن ما تقوم به هو انتهاك للخصوصية أكثر من كونه

بحثاً عن أدلة

خلال حديثهن خرجت القطة البيضاء السمينة وبدأت تمسح بظهرها

عند أقدام (نجوى) فالتقطتها بين ذراعيها وقالت بنبرة ساخرة:

هل تجد إحداكم لغة القطط؟.. لعلها يمكن أن نخبرنا بشيء مفيد!

(منى) مشيرة للقطة: ما هذا الذي على فمها؟

(نجوى) رافعة القطة متحصنة وجهها: كأنه.. دم

(سمر): ربما (أم حسن) تطعمها لحوماً نيئة

(منى): من أين أنت؟

(نجوى) محضنة القطة مشيرة برأسها لغرفة جانية بجانب المطبخ:

لذلك الغرفة..

(سمر) : لقد فتنها سابقاً ولم أجد فيها شيئاً .. تبدو وكأنها بحسب
لاستقبال الضيوف

(منى) سائرة نحو مدخل المجلس : لفتتها مرة أخرى

لم تلبس الثلاث وقتاً طويلاً في تفشيش المجلس حتى لمحت (منى) شيئاً
في إحدى زواياه أثار رينتها فانقطعت وقلبت بين أصابعها قائلة : «ود
سن .. سن صغير بجذور دامية ..»

اقتربت (سمر) منها لتشاركها النظر للسن بين أصابعها : نعم .. سن
بشري

(منى) وهي لعن النظر فيه أكثر : وليس أي سن .. سن لبني ..

(نجوى) والهمة الفظة على الأرض مقترية من صاحبتيها : ما معنى
ذلك؟

(منى) قابضة على السن متفكرة : معنى ذلك أنه يعود لطفل لم يتجاوز
الخامسة

(سمر) بنبرة متوترة : مثل الذي سمعنا بكاهه بالأسس؟

(نجوى) : لكننا اتفقا على أن الصوت كان بعيداً ولم يصدر من المنزل

(منى) متفتحة خلفها مدقة بمدخل المجلس : بل ليس من هذا الطابق

(نجوى) : ماذا تقصدين؟ .. أن الصوت كان قادماً من الطابق
تطوي؟ .. لقد فتنته هو الآخر ولم أجد شيئاً ومن المستحيل أن يكون
الصوت قد أتى من هناك .. كان سيكون أوضح مما سمعناه

بوت (منى) ومن خلفها الفتاتان حتى توسطت غرفت المعيشة ثم
تلفت للأرض أسفل منها وقالت : «لا أقصد من الأعلى بل من
الأسفل ..»

(سمر) وهي مصدومة : تقصدين .. سرداباً؟!!

(منى) : هذا هو الضير المنطقي الوحيد

(نجوى) : لكننا لم نجد مدخلاً لأي سرداب

(منى) : باب سرداب من هذا النوع سيكون مخفياً بلا شك

(نجوى) وهي تجول بنظرها حوها : ألا ترين أننا نبالغ في تحليل
الأمور؟

تلفت (منى) بسبابتها نحو منطقة بين المر المودي للمطبخ وأسفل
سلامة وقالت : انظروا هناك ..

اهبت الفتاتان أنظارهما حيث أشارت (منى) وشاهدتا ثلاجة كبيرة



صدر الرائحة البشعة

(سمر) بحماس : لنبلغ الشرطة في الحال!

(نجوى) : ونقول لهم ماذا؟ .. إننا وجدنا سرداباً سرّياً! .. نحتاج دليلاً أقوى!

(سمر) وهي تحديق بظلمة السرداب : الدليل ينتظرنا في الأسفل ..

(نجوى) : لا أحب ما تلمحين إليه

(سمر) وهي تتقدم : أنا لا ألمح .. سوف أنزل وأحصل على الدليل بنسي

(نجوى) : عودي يا حمقاء!

(سمر) : انتظري لنفكر بالأمر!

لم تسحب (سمر) لها واستمرت بالنزول حتى اختضت في الظلمة ..

(نجوى) : هل نلحق بها؟

(سمر) وهي تتقدم : لا خيار آخر أمامنا ولن نتركها بلا شك .. أغلقي الباب خلفك عندما تلحقين بها

(سمر) : ألا تعتقدان أن مكان تلك التلاجة غريب ومثير للشك؟

(نجوى) : بل ربما ..

(سمر) : خاصة وأن هناك تلاجة في المطبخ

(سمر) وهي تسير نحو التلاجة : فلم نحتاج تلاجة أخرى إذا؟

وقف الجميع أمام التلاجة الكبيرة وتفحصنها بأنظارهم لتوابع
ولاحظن أن ظهرها ملتصق بالجدار بطريقة مريبة بدون أي فراغ يذكر
ولم يصدر منها صوت الطنين المعتاد الذي يدل على أنها تعمل خاماً
وأنها تلاجة قديمة وليست حديثة.

(نجوى) برهبة : هل نفتحها؟

(سمر) : بالطبع ..

مدت (سمر) يدها وفتحت بابها ليتفاجأن بأنها مجوفة ونخفي ورائحة
سليماً خشيباً بقود للأسفل وهبت من جوفه رائحة مقبحة جداً كرائحة
الجث المتعفنة صدمتهن جميعاً وأشعرتهن بالغيثيان.

(سمر) بأعين متسعة مدققة بظلمة الممر السفلي : ألم أخبركما .. لقد
وجدنا الدليل ..

(نجوى) ملوحة بكفها أمام وجهها وهي تشعر بالغيثيان : لقد عرفنا



سوق البراعم



بعد عدة خطوات في الظلمة وصل الفتيات لنهاية السلام وبدأن
ينحسّن الجدران حولهن حتى وجدت (منى) قابسًا كبست عليه
منيرة السرداب بالكامل ..

السرداب كان غرفة واسعة بجدران مغطاة بما يشبه الإسفنج الأصفر
المبطن وفرش على أرضيته سجادة خضراء ذات نقوش حمراء غريبة
لكن المنظر الذي أثار فيهن الرهبة والعجب هو مجموعة من الأقفاص
الصغيرة المصفوفة بعضها فوق بعض على أحد جدران تلك الغرفة
وبعد ما اقتربن منها وتفحصنها لاحظن أن أحدها التصق بقضبانته

تلقرا م : حبا للقراءة



بعض الدماء الجافة ووسطه استقر ديك أسود مذبح وراسه لم يفصل
عن جسده وبقي متديلاً بقطعة صغيرة.

(سمر) : منظر مفزق

(نجوى) : مفزق نعم لكنه ليس جريمة في نظر القانون ..

(منى) مشيرة لقفص آخر استقر وسطه قط مشقوق البطن : ماذا عن
هذه الجريمة؟

(سمر) يخليط من العجب والتعريف : ما الذي تمارسه تلك المجنونة
من طفوس هنا؟

بعد تجول بسيط في ذلك السرداب لمحت (منى) طاولة صغيرة في الجهة
المقابلة استقر فوقها مجموعة من الأدوات فسارت نحوها بخطوات
حلوة لاستكشافها وتبعها بقية الفتيات. وقف الثلاث يتفحصن
تلك الأدوات المخيفة بأعين مرعوبة فقد كان على سطح تلك الطاولة
كباشنة ومطرقة ومجموعة من السكاكين بمختلف الأشكال والأحجام
وجميعها ملطحة بالدماء الجافة.

(نجوى) بصوت تهنئ : ما الذي يحدث هنا؟

(سمر) : هذه المرأة تمارس طفوساً ما بلا شك

من (منى) ورقة كانت تحت تلك الأدوات وقرأت محتواها :

ثلاث حبات من التوت الأحمر

حبتان من البنديق المقشر

خمس حبات من الشمش منزوعة النواة

(سمر) : نص غريب

(نجوى) : ما معنى هذا؟ .. هل هذه ورقة حاجيات تريد شراءها من
بقالة؟

(منى) واضعة الورقة على سطح الطاولة موجهة نظرها لصندوق
مطبخ كبير خلفها انبثت له خلال قراءتها الورقة : «أظن أننا في البقالة
هنا ..»

فتح الفتيات الصندوق وصدمن من محتواه فقد احتوى على مجموعة
من ملابس الأطفال المعزقة والمشعبة بالدماء الجافة عدا سروالاً منها
كثت الدماء عليه حديثة وكذلك وجدن فوطة قطنية مبللة بسائل
لظفر فاحت منها رائحة قوية كرائحة البول.

(نجوى) وهي على وشك أن تتقيأ : لنخرج في الحال لم أعد أحمّل
لن هذا!



(منى) رامية القوطة وسط الصندوق : هل ما زلتِ ترين أنه لا يوجد جريمة هنا؟

(سمرا) : حان الوقت لإبلاغ الشرطة فلم يعد هناك مجال للشك بأن هذه المرأة ارتكبت فظائع هنا وأنها قد قامت بخطف ذلك الطفل الذي سمعنا صوته بالأمس .. يجب أن نبليغ السلطات فوراً

(منى) مخرجة هاتفها من جيبتها : نعم أتفق معكِ

(نجوى) : لمْ لا نعود للمنزل ونبليغهم من هناك؟ .. فنحن لا نعلم أي خطر قد نقبل عليه لو بقينا أكثر في هذا المكان

(منى) مقربة ساحة الهاتف من أذنها بعد ما طلبت الرقم : لن تستغرق المكالمة أكثر من دقيقة وسرحل بعدها

تواصلت (منى) مع مركز الشرطة وأبلغتهم بكل شيء ووزودتهم بالعنوان فطلبوا منها ترك الموقع ريثما يصلون ..

(منى) معلقة الخط : حسناً .. هيا لنخرج من هنا الشرطة في طريقها قبل أن تتقدم أي منهن نحو السلم المادي للطابق العلوي سمعن صوت بكاء واستحادي لطفلة فادماً من أسفلهن فنظرن بعضهن لوجود بعض بنمجب وقالت (سمرا) : هل هناك سرداب آخر؟

تزلت (منى) على ركبتيها بسرعة وبدأت تتحسس بكفوفها سطح السجادة الخضراء ثم قالت بنبرة مفزوعة : «هناك شيء أسفل السجادة! .. ساعدني في إزالتها في الحال!»

تحاول القنيات على طي السجادة الخضراء كاشفات باباً صغيراً بمقبض عريضة ممتلئة وسطه فقبضت عليه (منى) بتوتر ورفعتة لتهب عليهن زلجة عتة جداً أسوأ من السابقة تبعها صيحات استغاثة وبكاء لجنونة من الأطفال في القاع. لم يكن هناك سلمٌ للنزول بل مجرد حل سبيك رُبط بحلقة معدنية معلقة ومثبتة بإطار الباب الأرضي الصغير ويتل لوسط تلك الحفرة المظلمة لكن ذلك لم يمنع (منى) من تسلقه والبدء في النزول فقالت (نجوى) بقلق شديد : «لمْ لا نتنظر الشرطة»

(منى) ورأسها يخنفي نزولاً : «لا يمكنني تجاهل هذه الأصوات المستتية»

تبعها (سمرا) بالنزول ومن خلفها (نجوى) بالرغم من ترددتها في القيام بذلك ..

بعد أن حطت أقدامهن على أرض ذلك المكان المجهول والمظلم تطلعت أصوات الأطفال المستجدين حولهن فأشعلت الثلاث كشافات

(سمر) وهي تتنفس بثقل جراء شعورها بالتعب من تكرار محاولة فتح الأقفال :

«لن تتمكن من تحريرهم .. لنخرج من هنا وننتظر وصول الشرطة بمتركك .. هذا هو خيارنا الوحيد ..»
تركت (منى) على ركبتيها أمام الأقفال متأملة الصغار المستجدين وقالت بعصية وعيناها تدمعان :

«ستجبل أن أترك هؤلاء المساكين وحدهم في هذا المكان! .. المعتوهة التي حبستهم لا بد وأنها في طريق العودة الآن!»
(نجوى) وقد استعادت بعض تركيزها :

«الانكوني مجنونة! .. الشرطة في طريقها وهي من سيخلصهم ويقبض عليها لقد قمنا بواجبنا وانتهى الأمر ويقاؤنا هنا أكثر لا فائدة منه!»
(سمر) واضعة كفوفها على أكتاف (منى) الجاثية أمام الأقفال :
«معها حق .. هيا لنذهب ..»

(منى) نافضة أكتافها بعنف صارخة في صاحبتيها رامية مفتاح منزلها على الأرض أمامهما : ارحلا أنتما وأنا سأبقى معهم!
(نجوى) وقد بدأت تنهار : لن نتركك وحدك!!

هواتنهن فانقبضت صدورهن وجفت حلوقهن مما رأيته أمامهن وهي تحس أقفال حديدية مشابهة للأقفال التي وجدتها في الأعلى لكنها لم تكن حاوية بل حُبس في وسط كل واحد منها طفلة أو طفل عليل وعلى أجسادهم ظهرت علامات التعذيب وكانوا متفرصين كالفرقة المأسورة لأن حجم تلك الأقفال الصغير لم يسمح لهم بالوقوف بشكل كامل متصبي القامة.

فاحت من المكان رائحة مثيرة للغثيان بسبب فضلات الأطفال التي تجمعت أسفل منهم. لم تستطع (نجوى) تمالك نفسها وتقيأت وبدان بالبكاء. تسمرت (سمر) مكانها وقالت بصوت مشبع بالجزع وأعين غارقة بالدموع :

«يجب أن نخرج من هنا في الحال ..»

(منى) سائرة نحو الأقفال وبنبرة واثقة : لن أخرج قبل أن أحررهم! حاولت (منى) بمساعدة (سمر) فتح تلك الأقفال لكن دون جدوى فقد كانت محكمة الإقفال لذا حاولتا في لحظة يأس تحريكها وحلها بأيديهما لكنهما لم يتمكنتا من ذلك أيضاً لأن الأقفال كانت ملحومة بعضها ببعض وكأها قطعة واحدة.



(منى) : وأنا لن أنخل عنهم !!

شدت (سمر) ذراع (نجوى) بعد ما التقطت المفتاح من عل الأرض وأخذتها جانباً وحدثتها بصوت غير مسموع لـ (منى) : ماذا تفعل؟ (نجوى) بانفعال وتشتت : لا أعرف! .. لا أعرف! .. لقد فقدت عقلها!

(سمر) رافعة هاتفها : سأحاول الاتصال بالشرطة مجدداً

عندما رفعت (سمر) الشاشة أمام وجهها اكتشفت أن أبراج النخبة معدومة فسألت (نجوى) وطلبت منها أن تستخدم هاتفها فأجابته بأنها تعاني من المشكلة نفسها فقالت لها :

«يجب إذاً أن نصعد للأعلى كي نكرر الاتصال ..»

قبل أن تحرك أيّ منها لاحظت (سمر) أن هاتفها خلال رفعها له تسلط ضوءه على باب خلفهنّ لم يكن واضحاً هنّ في الظلمة عند نزولهنّ لأول مرة وقالت وهي مصدومة :

هناك باب ..»

التفت الجميع بمن فيهن (منى) المتفرقة عند الأقفاس نحو الباب

الذي اقترت منه (سمر) بخطوات حذرة مسلطة عليه المزيد من ضوء وشاركتها (نجوى) الأمر نفسه
رقت الاثتان بعضهما بجانب بعض تحذقان بالباب بجزع لأنه كان مصغماً بخليط من الدماء والفضلات البشرية المتبسة على سطحه وبفضه كان يلمع وكأن بعض الزيت قد سُكب عليه لكن سرحانها تقطع بعد ما شقت (منى) تلاصقها ووضعته يدها على مقبضه الزلق وأقترت.



غرفة في قلب الشيطان



باب يفتح ..
تلقرام : حياً للقراءة ..
درفته تتحرك ببطء ..

كاشفة عن شرطين يقفان خلفه ..
يسأل أحدهما المرأة التي فتحت لها ..
«هل أنتِ صاحبة المنزل ..؟»

لم حسن) بتعجب : نعم .. أنا صاحبة المنزل .. هل هناك مشكلة؟
للشرطي (١) محاولاً النظر خلفها لوسط البيت : لقد وصلنا بلاغ
نحصر هذا المنزل؟ .. هل أنتِ من قدم البلاغ؟

(أم حسن) يتعجب : بلاغ؟ .. لا لم أقدم أي بلاغ .. لقد وصلت التور قبل دقائق من الخارج حتى أي لم الحق أن أبدل ملابي .. ما الحكمة بالضبط؟

(الشرطي ٢) : هل يمكننا الدخول وأخذ جولة للتحقق؟
(أم حسن) ملتفتة خلفها للحظة : بالتأكيد .. تفضلا

تقدم الشرطيان ودخلا وسارا وهما يجولان حولهما بأنظارهما متحصنين المكان حتى وصلا لوسط غرفة المعيشة وقال أحدهما : «من يقيم معك؟»

(أم حسن) : لا أحد .. أنا فقط

تفرق الشرطيان وفش كل واحد منهما أحد الطوابق وبعد مدة من البحث والتقصي عادا لغرفة المعيشة حيث كانت (أم حسن) تقف بانتظارهما واعتذرا منها على الإزعاج.

(أم حسن) : لا أبداً هذا واجبكما

(الشرطي ١) مخرجاً هاتفاً معمولاً : سوف نجري اتصالاً أخيراً بالرفه الذي قدم البلاغ قبل أن نرحل

(أم حسن) بشيء من التوتر : من هو مقدم البلاغ؟

(الشرطي ١) واضعاً الساعاة عند أذنه : لست محولاً بالإفصاح عن موبه

ليس الشرطي المكالمة بسرعة فسأله زميله : ما بك؟

(الشرطي ١) : الخط مقفل أو خارج التغطية ..

(الشرطي ٢) : قضي الأمر إذاً

(أم حسن) بارتباك : ماذا تقصد بـ «قضي الأمر»؟

(الشرطي ٢) : معنى هذا أنها حالة بلاغ كاذب وإزعاج للسلطات وسوف تتعامل مع صاحب البلاغ ونستدعيه للقسم ليحاسب

(أم حسن) باسمة : أعانكم الله على مثل تلك الإزعاجات

(الشرطي ١) : شكراً لعة صدرك نستأذنيك الآن

(أم حسن) : هلداً .. هل لي بسؤال قبل أن ترحلا؟

(الشرطي ١) : بالتأكيد .. تفضلي

(أم حسن) : ماذا كان فعوى البلاغ المقدم ضدي؟ .. الفضول يتابني .. لم تلك لست محولاً بالإفصاح عن هذه المعلومة أيضاً؟

ظهر الشرطيان بعضهما لبعض لثوان ثم تحدث أحدهما جيبياً : «فتاة اتصلت وأبلغتنا بأن هناك طفلاً مخطوفاً وساحرة تحتجزه هنا ..»



تغيرت ملامح (أم حسن) لكنها تماسكت وقالت بصحابة
مصطنعة :

«ساحرة تختجز مجموعة من الأطفال؟! .. قصة مشوقة! .. خيال
البعض واسع ..!»

(الشرطي ٢) : وستدفع تلك الشابة ثمن خيالها هذا عندما تقف
عليها

(أم حسن) : أتمنى ذلك .. هل يمكن أن أعد لكما بعض الشاي؟

(الشرطي ١) : لا، شكرًا لقد أخذنا من وقتك ما يكفي ونكرر اعتذارنا
على إزعاجك في هذا الوقت من الليل

(أم حسن) وهي ترافقها لباب الخروج :

«بالعكس هذا واجبك وأنا أشعر بأمان أكثر بعد زيارتكما لي ..»

بعد ما ودعت (أم حسن) الشرطين وأغلقت الباب تجمعت وجرت
بخطوات متسارعة نحو مدخل السرداب وفتحت باب التلاجة لكن
وقبل أن تنزل فكرت لعدة ثوانٍ ثم أعادت إغلاقه وصعدت لفرقتها
لي الطابق العلوي.

في تلك الأثناء دخل الفتيات الغرفة في السرداب الثاني
واكتشفن أمراً مريباً ..

كانت الغرفة مظلمة بالكامل لكنهن استعنّ بكشافات هواتفهن
لاكتشاف جوانبها ورأين أن سقفها وجدرانها كسيت بنوع من
الطخنة العجينة الملساء ورسم على أرضها في المتصف رمز غريب
بحجم كبير أحاط به مجموعة من الشموع البيضاء والحمرات نصف
التي لكن صدمتهن الكبرى أتت مما شاهدتهن ملقى على ذلك الرمز
وهي بنت طفل صغير مشقوقة الصدر والبطن ومفرغة الأحشاء بضم
الضاد واحد أسنانها الأمامية مفقود.

(نسي) وهي ترجف جزعاً : إنه نفسه الطفل الذي وجدنا سته بالأعلى!

(سمر) واضعة كفها على فمها ويكاد يغمى عليها : لقد كنا على حق
...!

(سبحان) وحالتها ليست أفضل من البقية : لقد تأخرت الشرطة .. لم
يأتوا حتى الآن؟! ..

(نسي) بتوتر جنوني : اخرجوا في الحال واصعدوا للأعلى لتحصلا على
قطعة رهاودا الانصال بهم في الحال المسألة أصبحت أخطر مما ظننا!!
(سبحان) : ماذا عنك؟! ..



(منى) : أنا ساقى مع الأطفال حتى تصل النجيلة فقد بات الأمر لوزن
الآن!

(سمر) وهي تشد ساعد (نجوى) : هيا بنا! .. يكفي ما أضعناه من
الوقت!

خرج الثلاث من الغرفة ووقفت (منى) أسفل الجبل للتخلي وهي
تراقب صاحبتيها تسلقانه قائلة لها :

«بعد ما نهربان الاتصال عودا للمنزول فوراً وابقيا هناك حتى نحل
الشرطة ..»

(نجوى) وهي متشبثة بالجبل : كيف نتركك هنا وحدي؟

(سمر) لـ (منى) خلال مداها ذراعها من الأعلى لـ (نجوى) به
وصولها لمعاونتها :

«المكان غير آمن يا (منى) .. عودي معنا!»

(منى) ورأسها مرفوع محدثة صديقتيها اللتين وصلتا للسرداب الأبد
من خلال الفتحة الأرضية : «لا تقلقا سيكون كل شيء على ما يرام
فقط اتصلا بالشرطة في الحال ..»

أغلقت (سمر) الباب الصغير تاركة (منى) في الظلمة مع بقية الأبطال

لم يلفظ دقيقة حتى سمعت (منى) صرخة مدوية قادمة من الأعلى ..
صرخة (نجوى) .. تبعها ديبب قوي على أرض السرداب الأول وكان
شخصين يتعاركان ثم انطلقت صرخة أخرى لكنها هذه المرة كانت
من (سمر) مما دفعها للإمساك بالجبل المثلي والتسلق على عجلة حتى
وصلت للباب ودفعت سطحه بكفها مطلة برأسها لترى (نجوى)
مستقبلة على الأرض بلا حراك وسكين كبيرة مفروسة في صدرها
وفي الجهة الأخرى شاهدت (أم حسن) وهي لا تلبس شيئاً سوى
ملابسها الداخلية وجسدها ملطخ بالدماء تمسك بيدها مطرقة برأس
دام وتقف فوق (سمر) تراقبها بوجه متجهم وتتفس بثقل بعد ما
وجهت لرأسها ضربة. خرجت (منى) من الفتحة واتطلقت بسرعة
واصطدمت بجسدها بكل قوتها به (أم حسن) وأسفطتها أرضاً
وهرعت نحو (سمر) الفاقدة للوعي وتحققت من أنها لا تزال تنفس
لكنها أصيبت بجرح غائر في رأسها كانت تنزف منه بغزارة.

رفعت (منى) رأسها وأدارت نظرها لليسار عندما سمعت (أم حسن)
تصرخ كالمجنونة وشاهدتها تندفع نحوها رافعة المطرقة بنية نوجه
ضربة لها لكنها لم تلحق أن تصادها وتلقت ضربة صاعقة برأس
المطرقة على فكها تحطم على أثرها بعض أسنانها الأمامية وسقطت على
الأرض بجانبها حينما اصطدم خدعها بالأرض.



لم تفقد الوعي بالكامل لكنها كانت في حالة من التيه الشديد جراء تلك الضربة القوية التي تلقتها فنهضت ببطء ورأسها وفكها ينبضان ألماً وقمها يتزف بغزارة وخلال نهوضها كانت تسمع صوت دباب متلاحقة فالضقت خلفها لتجد أن مصدر تلك الدباب هو ضربان (أم حسن) بمطرقتها على وجه (سمر) الذي تهشم وأصبح كومة من العظم المهشم واللحم المفروم.

بالرغم من الألم والحسرة اللذين أحست بهما (منى) وهي تشاهد صديقتها الثانية تموت أمام عينيها بتلك البشاعة إلا أنها شعرت أنها إذا لم تتمكن من الهرب في الحال فسوف يكون مصيرها ومصير الأطفال في القاع نفس مصير صاحبتيها. دخلت (أم حسن) في حالة من السعار الجنوني وبدأت بتشويه جسد (سمر) بسكين جلبتها من الطاولة في زاوية الغرفة وأخذت تقطع أوصالها وتشق بطنها وصدرها مخرجة قلبها وأحشاءها واضعة إياها على رأسها ماسحة بكفوفها الدماء على وجهها وجسدها. نهضت (أم حسن) من فوق جثة (سمر) الممزقة وسارت نحو (نجوى) وجلست فوق بطنها ونزعت السكين المرتكزة في صدرها وبدأت بتعطيعها مثلما فعلت مع (سمر).

فردت (منى) في تلك اللحظة أن تستغل انشغال (أم حسن) بتشويه جسد (نجوى) ومشت بخطا مترنحة نحو السلم المؤدي للطابق

العلوي وبالفعل تمكنت من التسلل دون أن تشعر بها وخرجت من باب التلاجة وهي في حالة من الدهول والجزع تمسح بكفوفها قمها التازف.

بعد وصولها للباب الرئيس أدارت مقبضه وفتحت لكنها أحست أن قواها ستخور وقد يغمى عليها في أي لحظة فتحست جيها بحثاً عن مفتاحها وأخرجته وحاولت طلب الشرطة لكن لم تستطع بسبب عدم استجابة شاشته للمسائها بسبب تلوث سطحه بالدماء من على يدها. أخذت (منى) تصرخ بقوة على أمل لفت انتباه أي أحد من المارة في الشارع لكن ذلك لم يلفت سوى انتباه (أم حسن) في الأسفل لتجري صعوداً وتخرج من السرداب كالوحش الهائج تلتفت يميناً وشمالاً حتى وقعت عينيها على ظهر (منى) الواقفة عند عتبة الباب المفتوح وهي تصرخ مستجدة.

سقط الهاتف من يدها بعد ما قبضت (أم حسن) على شعرها من الخلف وسحبها بقوة ورمت بها وسط غرفة المعيشة وأغلقت الباب خلفها. استترقت (منى) آخر قطرة من قوتها في محاولتها الأخيرة لطلب النجدة واستسلمت لمصيرها وأغمضت عينيها وقيل أن نفقد الوعي سمعت (أم حسن) ندنو منها قائلة: «فتاة فضولية حقاً...»



فتحت (منى) عينيها عند منتصف الليل تقريباً لتجد نفسها طيبة الأقدام والسواعد مرمية على أرضية السرداب الثاني بجانب الأقماع الحديدية التي حجز فيها الأطفال العراة وقد تمكنت من الرؤية من خلال ضوء لمب شمعة صغيرة متقدة في إحدى الزوايا. قبل أن تترك ما كان يدور حولها سمعت الباب وسط المكان يفتح لتخرج من (أم حسن) وهي لا تزال مرتدية ملابسها الداخلية ومعظم جسدها مغطى بخليط من الدماء الجافة والحديثة تحمل بيدها كيساً بلاستيكيّاً ثقلاً حوى ما بدا أنه بعض اللحم أو الأعضاء وعندما شاهدت (منى) تراقبها قالت: «استيقظت يا أميرة؟»

(منى) بصوت خالطه بعض البكاء: ما الذي فعلته بهؤلاء الأطفال؟! أخذت (أم حسن) بعض الخطوات نحو الأقفاس ثم وضعت الكيس فوق أحدها معنة النظر في الأطفال المرعوبين منها ومن نظراتها الجنونية: «لم تري محل جزاره من قبل؟»

صدمت (منى) من هول ما سمعت ولم تقوَ على الكلام..

(أم حسن) سائرة نحوها مستأنفة حديثها:

«الشيء الوحيد الذي منعي من إخافتك بقريبتك هو كرامة لأمك فقط..»

(منى): هل معنى ذلك أنك ستطلقين سراحى؟

(أم حسن) بضحكة مستهترة ومتندرة:

«اطلق سراحك؟! .. بعد ما رأيت ما رأيت؟! .. مستحيل!»

(منى): ماذا ستفعلن بي إذا؟!

(أم حسن): ما زال الوقت مبكراً على ذلك لكن بلا شك سيتم

التصرف معك بطريقة أضمن بها إسكاتك للأبد

(منى): حسناً لا تطلقى سراحى لكن أطلقى سراح هؤلاء الأطفال..

لا ذنب لهم فيما يحدث!

(أم حسن) ضاحكة بقوة:

«اطلق سراح الأطفال؟! .. هؤلاء الملاعين تم دفع قيمتهم وسببهم

تسليمهم لأصحابهم قريباً..»

(منى): هذه هي الحكاية إذا؟ .. تجارة في الأطفال!

(أم حسن) عائدة نحو الأقفاس بعد ما التقطت الشمعة من على الأرض:

«هنا عمل جانبي لتمويل عملنا الأساسي فقط..»

(منى): عن أي عمل تتحدثين؟



بكت (منى) بشدة وشاركها بعض الأطفال ذلك البكاء ..
بعد أقل من ساعة ..

سمعوا شيئاً أثار انتباههم وجزعهم في الوقت نفسه ..

عدة طلقات نارية قادمة من الأعلى ..

الأطفال مرعوبون ..

(منى) تطمتنتهم بالوعم من رعبها ..

باب السرداب يفتح من فوقهم ..

بصيص نور يدخل عبر الفتحة ..

ينبعه صوت .. صوت رجل ..:

«هل يوجد أحد هنا ..»



قلبت (أم حسن) طرف الشمعة المشتعل فوق رأس أحد الأطفال
لتكويه ببعض قطراتها الساخنة وهي تقول : «خدماتنا كثيرة وكلها
للخير والصلاح ..»

بدا الطفل بالصراخ من الألم مغطياً رأسه بكفيه باكياً ..

(أم حسن) بنبرة جنونية وهي مستمرة بتقطير الشمع على رأس الطفل
المتالم :

«لحومهم تصبح ألد عندما يتألمون ..»

(منى) صارخة فيها : توفقي يا مجنونة !!

تيسمت (أم حسن) وحملت الكيس البلاستيكي باليد الأخرى وبدان
بالسير نحو الحبل المتعلي وعند وصولها أسفل الفتحة المؤدية للسرداب
الأول نفخت لب الشمعة ليحل الظلام الدامس في الغرفة ثم قضمت
بأسنانها على طرف الكيس وتسلفت الحبل وخرجت من السرداب
مغلقة الباب خلفها.



الخيط الحريري الرفيع



تلقراام : حُباً للقراءة

الرابعة فجراً ..

مركز شرطة المدينة ..

قسم «مكافحة الجرائم الخارقة» ..

تجلس (منى) على أريكة من الجلد الأسود البارد ..

تخضن نفسها بعد ما تحمست بعض الضادات على وجهها وجسدها ..

طرق الباب ودخل رجل يحمل ملفاً وجلس أمامها على كرسي خشبي ..

تنظر إليه بخليط من التساؤل والضياع ..

«لنا المحقق (نادر) المسؤول عن القضية .. كيف حالك الآن ..؟»



(منى) بضياع شديد وبفهم فاقد لبعض الأسنان الامامية : لا اعرف
(نادر) : لقد قدمت لك بعض الاسعافات الأولية والكثير من
المسكنات القوية كي نستطيع الحديث الآن .. اعترض مقدماً عن ذلك
لكن الوقت ليس حليفنا ويجب أن نأخذ أقوالك في الحال

(منى) بصوت ووجه متعيين : كنت أظن الشرطة لن تأتي أبداً؟
فتح المحقق الملف بين يديه وألقى عليه نظرة قبل أن يضعه جانباً :

فيبدو أن مخطفنكم ارتكبت خطأ خلال حديثها مع الشرطين اللذين
استجابا لبلاغك الأول وقالت عبارة بقيت ملتصقة في أفهامها بعدما
عادا لمركز الشرطة وبعد أن تناقشا فيما بينها أطلعا على الأمر فأمرت
في الحال باستخراج أمر بالتفتيش لأن الوقت كان متأخراً وعدنا على
القور للتحقيق معها بشكل رسمي وعندما لم تفتح الباب لنا زادت
شكوكنا وأصدرت أوامري للفرقة المصاحبة لي بافتحام المنزل وعندما
وجدناها والدماء تغطيها بالكامل وتحمل سكيناً كبيرة بيدها فأمرناها
بتسليم نفسها لكنها قاومتنا بإشهار السكين علينا ومحاولة طعن أحد
أفراد الشرطة فاضطرونا أن نردبها قتيلاً.

(منى) : وكيف وجدتمونا ... ؟

(نادر) : تخلفنا وقتها أن هناك شبهة حقيقية ومصداقية للبلاغ المقدم

.. وبعد فحص وتفتيش دقيقين لجوانب البيت وجدنا مدخل
بالباب الذي قادتنا إليكم .. نحن ممتنون لمساعدتك يا آنسة (منى)
.. قدمت لنا الخيط الذي بحثنا عنه طويلاً لإغلاق قضية أرقنا لمدة
سنة

(منى) وعيناها تدمعان : الفضل ليس لي وحدي .. صديقتاي ..

رنت اللحظة غصت (منى) بكلماتها وأنزلت رأسها وانهارت باليكا
منما تذكرت ما حدث لـ (نجوى) و (سمر) ..

(نادر) بشيء من التردد وينبرة مواسية :

أذكر اعتدائي على استجوابك في هذا الوقت الصعب لكن القضية
لا تزال قيد التحقيق ونحن نحاول جمع كل الخيوط بسرعة قبل أن
يحل العلم للأطراف الأخرى ويتمكنوا من الهرب .. حتى الأطفال
ويترغم من حالتهم المزرية إلا أننا نحاول الحديث معهم الآن لجمع
العلوم التي قد تكون حاسمة لو حصلنا عليها مبكراً كي نوقع
الشبكة كلها

(س) أرافعة رأسها : شبكة ؟

(نادر) : نعم .. (أم حسن) لم تكن تعمل وحدها فهي جزء من
عصبة كبيرة من الساحرات امتهن خطف الأطفال بمختلف الأعمار



والأجناس لاستخدامهم في طقوسهن البشعة والتجارة بهم لكل من يقدم الثمن المناسب .. نحن نتابع جرائمهن ونرصدها منذ أكثر من عام

(منى) : اعتقد أن لدي صورة في هاتفي قد تفيدكم ..

(نادر) : صورة ماذا؟

(منى) : لسيارة كانت تقف أمام منزل (أم حسن) بالأمس .. رجل حل كياً قماشياً من منزلها لكني لا أعرف محتواه وقدمت له مبلغاً من المال

(نادر) : غالباً تلك السيارة تعود لمن يقوم بالتخلص من جثث الأطفال أو بقاياهم والذين يفقدون حياتهم وهم في الأسر سواء من التعذيب أو سوء المعاملة .. هاتفك محتجز مع بقية الأدلة التي جمعناها من مسرح الجريمة .. سوف أستعيده لك كي تتمكني من تزويدنا بالصورة قبل رحيلك

(منى) : كيف سمحتم لهذه الفظاعات أن تحدث كل هذه المدة؟ .. أين كنتم؟

(نادر) : هذه العصابة من النسوة تمارس جرائمها منذ سنوات عديدة ولم نحول القضية لقسمي إلا قبل عام عندما عجزت الشرطة عن حلها والإبلاغ بهن جميعاً

(منى) : لا أفهم .. ألسنت أنت من الشرطة؟

(نادر) : بل .. لكنني أدير قسمياً خاصاً .. قسم «مكافحة الجرائم الخارقة»

(منى) : لم أسمع بهذا القسم من قبل

(نادر) : قسمنا مخوطه بعض السرية لحساسية القضايا التي يتعامل معها .. عندما استلمنا ملف القضية وبدأنا بمراجعتنا والعمل عليه لنب بعض المحققين عندي تلك العصابة بـ «شبكة العنكبوت» بسبب تمددها وتشعبها ومهما قبضنا على أفراد كثيرة منها لم تتمكن يوماً من القضاء على أنشطتهم بالكامل لأننا أخفقنا في الإمساك بزعيمهم .. العنكبوت نفسها .. رأس الهرم المدبر والمحرك لخيوط العصابة كلها كنا نريد الوصول لمن كانت توجههن وتدير شؤونهن والتي تقوم بتجنيد ونعويض الأفراد الذين يقبض عليهم بسرعة كبيرة لتستمر شبكتها بالنمو وتزويد عملائها المعاتبه بطلباتهم المريضة .. ننجح من وقت لآخر في قطع بعض خيوطها لكنها تنسج غيرها بتدريب المزيد من المشعوذات اللاتي يخدمنها بولاء تام وكنا لا نملك سوى مواصفات بسيطة عنها تقدمها كل متهمة نقبض عليها أو ضحية على قيد الحياة ولم يكن نعرف مكان إقامتها لأنها لا تلتقي بهن في منزلها بل هي من تزورهن في بيوتهن لتزودهن بالأعمال السحرية وتسلم منهن الأطفال الذين يخطفونهم لها ..



(منى) : وتلك الزعيمة هي جارتنا (أم حسن) ..

(نادر) أخذنا الملف الذي وضعه جانباً آنفاً فأنحأ إحدى صفحاته :

«نعم فجميع المواصفات منطبقة عليها .. لكن هناك أمر لا يزال يحيرني
أنا شخصياً ..»

(منى) : ما هو ؟..

(نادر) رامياً بالملف مجدداً مخرجاً علبة سجائره :

«أغلب الساحرات اللاتي قبضنا عليهن أكدن أن من كانت تقودهن
هي (أم حسن) وهذا الوصف تطابق مع أقوال بعض الضحايا الذين
تمكنا من إنقاذهم قبل تسليمهم وشاهدوها في بيوت مختطفين وهي
تفحصهم قبل استلامهم بعدها بأيام وقد وصفوها بدقة عالية لا مجال
للشك فيها ما عدا ساحرة واحدة ..»

(منى) : ما بها؟

(نادر) مشعلاً سيجارة نافخاً سحابة من الدخان جانباً بعيداً عن
أنفاس (منى) :

«ادعت أن (أم حسن) ليست رأس الهرم الحقيقي وأن هناك من هو

أعلى منها وهو المحرك الحقيقي للتنظيم وقد شاهدته مرة واحدة فقط
خلال مرافقته لـ (أم حسن) في إحدى الزيارات لنتزلها ..»

(منى) : وكيف علمت أن ذلك الشخص هو الزعيم الحقيقي؟ لعله
مجرد زيون عادي يرافقها؟

(نادر) : قالت بأن الساحرات يعرفن بعضهن بعضاً وحسب إفاذتها
فإن (أم حسن) وخلال إحدى زيارتها لها لاستلام طفلة صغيرة مها
في وقت متأخر من الليل أتت بصحبة شخص آخر لم يدخل معها
لكنه انتظر في السيارة وأنها تعجبت من طريقة معاملتها له عندما
خرجت بصحبة الطفلة فقد راقبتها من نافذتها ورأت أنها عندما
دنت من نافذة الراكب كانت تعامله بتعجب عظيم وقلت به أكثر
من مرة خلال حديثها معه وهي واثقة بأن ذلك الشخص هو الفاعل
الحقيقي للشبكة

(منى) : ولم تقدم لكم هذه الساحرة أو غيرها تلك المعلومات؟

ليس من المفترض أن يكون ولاؤها مطلقاً لمن تعمل لديهم؟

(نادر) : أغلبهم ينهار عندما يعرف أن حكم الإعدام ينتظره ويريد
تخفيف العقوبة على نفسه بأي شكل خاصة الساحرات المتشدات، أو
اللاتي لم يمضين فترة طويلة في التنظيم



إحدى سيارات الشرطة لكنها أصرت على الحضور لأخذك بنفسها
لذا أرسلنا السيارة لها وهي في الطريق إليك .. أنا لذي ابنة في عمرك
نفسه تقريباً وأعرف شعورها الآن .. لا بد وأنها تكاد تفقد عقلها من
الفلق

(منى): شكراً ممتنة لكم

(نادر): بل نحن الممتنون لكِ ولتضحيات صاحبتك ..

بعض المحقق (نادر) حاملاً الملف وقال قبل أن يهم بالخروج:

«بينا نتظرين حضور والدتك سوف أرسل لكِ هاتفك كي تزودينا
بنك الصورة ..»

(منى): حاضر ..

عد أقل من نصف ساعة دخلت (أم رجب) على ابنتها ووجدتها
سارحة تقلب في هاتفها المحمول فجرت نحوها وعانقتها بقوة
ياخذت تبكي بحرقة مما دفع ابنتها لمشاركتها البكاء في عناق طوبل
نهي بسؤال أمها:

«طمئني عليك .. هل أنت بخير؟ .. هل أصابك أي مكروه؟!»

(منى): ساكون بخير ..

تلقروا: حُباً للقراءة

(منى): ولم لم تجدوا هذا الشخص؟ .. ألم تصفه لكم كي تبحثوا عنه؟

(نادر): أخذنا نفساً آخر من سيجارته:

«تقول بأنه كان متوارياً في السيارة ولم تتمكن من رؤية ملامحه خاصة
وأن الوقت كان ليلاً والإضاءة في حينها شبه معدومة ..»

(منى): وماذا ستفعلون؟

(نادر): رامياً بالسيجارة تحت قدمه داعساً عليها:

«قانونياً إفادات واعترافات الساحرات الأخريات تدين (أم حسن)
بالكامل كرئيسة للشبكة وتحملها كامل المسؤولية عن جميع الجرائم
وتحلي مسؤولية أي شخص آخر حتى وإن كان له وجود لكننا سنتمر
بالبحث عن هذا القائد المزعوم ..»

(منى): ماذا سيحل بالأطفال؟

(نادر): لقد تواصلنا مع أهاليهم جميعاً وهم بصحبتهم حالياً خلال
التحقيق المستعجل معهم وسوف يعودون لنازلم الليلة

(منى): هل أستطيع مساعدتكم بشيء آخر؟

(نادر): بأساً: لقد قدمت الكثير ونحن شاكرون لك ذلك .. لقد
اتصلنا بأمك وطمأنأناها عليك وأخبرناها بأنك ستعودين بعد قليل مع



(أم رجب) ممسكة بلفن ابتها بإيهاها وسبابها ممعنة النظر في أسنانها
المفقودة وبصوت مختنق بالعبيرات : «ما الذي حدث؟! .. أخبريني!»
(منى) ماسحة دموعها : قصة طويلة يا أمي سأحكيتها لك لاحقاً
(أم رجب) وهي تخرج بعض الملابس النظيفة وعباءة سوداء من
حقيبة أحضرتها معها : «حسناً يا عزيزتي .. البسي هذه وهيا لنرحل
من هنا ..»

خلال سيرهما في المر المزدحم لباب الخروج طلبت (منى) من أمها
دخول الحمام فدخلت معها وقالت : «أنا أيضاً أريد استخدام الحمام ..»
وبعد انتهائها خرجت الاثنتان من مركز الشرطة و(أم رجب) محتضنة
ابتها وكأنها تخشى أن يخطفها أحد منها وركبت السيارة التي أحضرتها
وكانت بانتظارهما لتعيدهما للمنزل. خلال الطريق احتضنت الأم
ابتها بقوة وضمت رأسها لصدرها وهي تقرأ القرآن وتضع عليها.

(منى) من وراء دموعها ورأسها مسند لصدر أمها : «لم أكن أظن أن
العالم هذا السواد والظلمة ..»

(أم رجب) مقبنة رأس ابتها ماسحة عليه بحنان :

«أمها كان الظلام دامساً ومعنيًا يا ابنتي فتور إيماننا سيدهد .. فليكن
إيمانك بالله أقوى وليكن سراجك المنير الذي سيرشدك للطمانينة ..»

(منى) وهي تشد عنق أمها باكية : «إياني تززع يا أمي .. أشعر بأن
الشر أقوى ..»

لم ترد الأم على ابتها المنهارة واكتفت بالطبخة على رأسها بكفها وخلال
الطريق رُفع أذان الفجر فشعرت (منى) ببعض الراحة ولاحظت أمها
تلك من خلال الأنفاس العميقة التي أخذتها وزفرتها فقالت لها :
«مارأيك بأن نصل الفجر في المسجد الكبير وسط المدينة الذي يخصص
مصل خاصاً بالنساء ..؟»

هزت (منى) رأسها بالموافقة دون أن ترفعه من على صدر أمها التي
وجهت حديثها للسائق وسأته عن إمكانية ذلك فأجابها بقول :

«بالطبع يا سيدتي يسعدني ذلك وسوف أصلي أنا أيضاً وأنتظركما
بالخارج حتى تنتهيا ..»

أوقف السائق سيارته أمام مدخل المسجد مباشرة وترجل منها وفتح
الأبواب لهما لتسيرا بعدها وتدخلتا مصل النساء الذي كان خاوياً
فقالت الأم بحسرة :

«وشيء محزن أن تكون المساجد فارغة بهذا الشكل ..»

(منى) : «ربما لأنها صلاة فجر ويشق على النساء الحضور في هذا الوقت
خاصة وأن صلاة النساء في بيوتها أفضل»



(أم رجب) : هذا ليس بعذر يا ابنتي .. المساجد تعمر بمرتادها .. هي لتصلي صلاة السنة قبل الإقامة

(منى) مستذكرة : أحتاج أن أتوضأ قبلها

(أم رجب) : حسناً يا ابنتي سأكون بانتظارك هنا

(منى) بشيء من الاستغراب : ألن تتوضئي معي؟

(أم رجب) : لا فأنا على طهارة

(منى) : عذراً يا أمي .. ألم تستخدمي دورة المياه معي عندما كنا في مركز الشرطة؟

(أم رجب) باسمة : بلى .. لكنني توضأت بعدها في الخلال .. أنا على طهارة دوماً وأنصحك بأن تتخذي هذه العادة مثلي كي تحمصي نفسك من كل الشرور

تبسمت (منى) وهي تهم بالسبر نحو دورات المياه النسائية قائلة :
«حاضر يا أمي ..»

بعد عودتها دخلت المصل لتجد أمها جالسة في الصف الأخير تقرأ القرآن حيث كانت المصاحف مصفوفة فتقدمت هي للصف الأول وصلت الركعتين بالرغم من الألم الذي أحست به في جسدها بالكامل

إلا أنها أحبت الشعور النفسي المريح الذي منحته لها الصلاة وبقيت جالسة بعد التسليمة تسبح وتستغفر حتى نادى الإمام بالإقامة فوقفت (منى) وتحركت نحو منتصف الصف الأول وكبرت لكنها لم تركز في صلاتها بسبب أنها لم تشعر بأن أمها وقفت بجانبها لتصلي معها وما زاد من توترها هو رنين هاتفها خلال صلاتها أكثر من مرة بما دفعها لإخراجه على عجلة وإصماته ووضعها أمامها على الأرض مقلوباً على وجهه.

لم يزل توترها وبقي على حاله حتى سلمت التسليمتين ملتفتة وراءها لئلا يرى أمها تنهي التسليمة الثانية في آخر الصف بالقرب من الباب فقالت لها : «لم لم تصلي بجانبني يا أمي ..»

تبسمت (أم رجب) وقالت بتبرة هادئة : «كل الأرض مساجد لله ..»
بادلت (منى) أمها الابتسام ونهضت من مكانها وسارت نحوها وهي تقول :

«هيا لنعد للمنزل وننته من هذا اليوم المتعب ..»

خرجت الاثنتان وركبتا السيارة لكنهما لم تجدوا السائق في مقعده فقالت (منى) :

«غريبة .. أين ذهب ..»



(أم رجب) وهي تفتح نافذتها :

«لقد تركنا في الحر .. افتحي نافذتك كي نستشق بعض الهواء ..»

نقذت الفتاة أمر أمها وخلال قيامها بذلك لمحت الأم السائق من بعيد فأشارت بسابقتها نحوه قائلة : «السائق هناك .. يتحدث بالهاتف على ما أظن ..»

(منى) متحسة جيها مفزوعة : «هاتفي ! .. لقد نسيت في المصل .. سوف أذهب لاستعيده!»

فتحت (منى) باب السيارة وقبل أن تترجل منها عاد السائق جرياً ووضع يده على طرف النافذة المفتوحة قائلاً : «إلى أين آسة (منى)؟»

(منى) : لقد نسيت هاتفي داخل المسجد

(السائق) : صحيح .. لقد اتصل بي المحقق (نادر) وقال لي إنه حاول الاتصال بك أكثر من مرة ولم تجيبي عليه ..

(منى) : لذلك أنا الآن ذاهبة لإحضاره ..

بدا السائق متردداً في السماح لها بالتزول لكنه في نهاية المطاف فتح الباب لها وقال :

«حسناً ستكون بانتظارك ..»

(أم رجب) : لا تتأخري يا ابنتي لقد عطلنا هذا الرجل الطيب بما يكفي

(السائق) : لا أبدأ يا خالة خذا وقتكما

نزلت (منى) من السيارة وجرت بسرعة نحو مصلى النساء ودخلته على عجلة وتوجهت مباشرة لهاتفها المقلوب على أرضية الصف الأول وما أن رفعتة حتى شاهدت خمس اتصالات من رقم غريب نرفعت أنه رقم المحقق (نادر) كما أخبرها السائق وخلال تأملها للرقم أضاءت شاشة الهاتف مجدداً بالرقم نفسه ففتحت الخط وأجابت : سيد (نادر)؟

(نادر) بنبرة مرتبكة بعض الشيء : آسة (منى)؟ .. هل أنت بخير؟

(منى) بشيء من الاستغراب : نعم بخير ..

(نادر) : هل هناك أحد بجانبك؟

(منى) باستغراب : لا، وحدي .. نزلت لاستعيد هاتفي لأننا توقفنا للصلاة في مسجد المدينة الكبير ونسيت في الداخل وأمي تتظفري في الخارج مع السائق ونحن عائدون الآن .. هل هناك شيء؟

(نادر) بحزم : اسمعيني جيداً وحاولي أن تفهمي كلامي وتستوعبيه ولا تصرفي أي تصرف أو تتخلي ردة فعل نفسك كل شيء.

(منى) وحيرتها تزداد : لقد أخفتني .. أرجوك قل لي ما الأمر؟



(نادر) : لقد قطعنا نصف المسافة إليكم ومنصل عندكم خلال دقائق ..

(منى) بتعجب : تصلون؟ .. ما الحكاية أخبرني!؟

(نادر) قبل أن يغلط الخط : لقد شرحت للسائق كل شيء وهو سيتصرف .. فقط ابقى مكانك حيث أنت ولا تخرجي أبداً حتى نصل! وقفت (منى) غمدق بهاتفها متعجبة من تلك المكالمة الغريبة وصارعت الرغبة بين الخروج لأمها التي اتقد قلبها قلقاً عليها وبين البقاء مكانها كما أمرها المحقق لكنها في النهاية لم تستطع المقاومة وخرجت جرياً من المصل وبعد عدة خطوات نزولاً من درجات سلم المسجد وصلت للسيارة وفتحت بابها ففوجئت بأن أمها لم تكن في المقعد الخلفي فقالت للسائق : «أين أمي؟»

لم يجب عليها وتجاهلها تماماً ..

كررت سؤالها عليه وهي تفتح بابه ..

وضعت يدها على قمها عندما شاهدته يمدق أمامه بأعين مفتوحة والدم يسيل على ملابسه من شق عميق مر من خلال عنقه ..

وقفت مصدومة من هول ما شاهدته وأصوات صفارات الإنذار تقترب .. خلال دقائق أحاط بها مجموعة من الدوريات ترجل المحقق (نادر)

من إحداها ..

جري نحوها وقبل أن يسألها شاهد السائق مقتولاً فرفع جهازاً لاسلكياً يده وبدأ يصرخ ويردد عبارة ..:

«العنكبوت طليقة! .. العنكبوت طليقة!»

وجه بعدها الرجال المرافقين له بالتواصل مع جميع الدوريات المناوبة لشر نقاط تفتيش في مخارج المدينة وتوزيع مواصفات المتهم عليهم .. جلست (منى) على الأرض بعد ما سمعت هذا الكلام وقالت وهي ترنجف :

اعن أي متهمة تتحدث!؟

سار (نادر) نحوها ووضع كفه على ظهرها وقال بنبرة مطمئنة : «هيا نعود للقسم ..»

هضت الفتاة المصدومة وجرت عائدة للمسجد فجرى المحقق خلفها وبعد ما دخلا مصل النساء وقفت في منتصفه وأخذت تكي بحرقه .. (نادر) من ورائها : أعرف أنه ليس وقتاً مناسباً للحديث لكن بعد ما فتشنا منزل (أم حسن) وجدنا أدلة مبدئية تدلين أنك في تلك الجرائم التي ارتكبتها

(منى) ملتفتة نحوه وهي تمهش بالبكاء : «أمي!؟ .. هل جنت!؟»

(نادر) : أعرف أن الأمر قد يبدو غير قابل للتصديق لكن الأدلة شبه جازمة .. هناك الكثير من المراسلات الهاتفية بينهما ومن الواضح أن



(نادر) : جيد .. الحقيقة نراها أحياناً بقلوبنا أكثر من أعيننا
(منى) بحسرة : لكنني رأيتها بعيني وليس بقلبي .. حقيقة لا يمكنني
لجعلها

(نادر) : كيف لم أفهم؟

(منى) : سقف المسجد فوق مصلى النساء ..

(نادر) : ما به؟

حلت (منى) على طرف أحد السلام وقالت بهم وحزن كبيرين وهي
سارحة أمامها :

«تدلت منه ثريا كبيرة وجميلة ..

أشعت بنورها فوق الصف الأول مباشرة ..»



أمك هي من كانت تدبر «شبكة العنكبوت» و(أم حسن) مجرد نائبة لها
(منى) صارخة فيه : هذا هراء! .. أنتم فقط تبحثون عن صحة لتلفظوا
لها القضية كي تغطوا على تقصيركم!

(نادر) يهدوء : أنا متفهم لحالتك في الوقت الراهن ولا أتوقع أن
تستوعي بالكامل ما أخبرتك به للتو .. سوف أنتظرك في الخارج حتى
تهديني لنعود للقسم لتري الأدلة بنفسك ونستأنف التحقيق
خرج المحقق (نادر) من المصلى تاركاً (منى) تبكي وحدها ..

في الخارج وقف المحقق (نادر) وأشعل سيجارة وهو يراقب وصول
سيارة الإسعاف التي نقلت جثمان السائق ثم سار وركب سيارته وأخذ
يتابع تطورات حملات البحث عن (أم رجب) عبر جهاز اللاسلكي
وأمر بقية الدوريات بالتحرك للمعاونة وخلال قيامه بذلك لمح (منى)
تخرج من المصلى بخطوات بطيئة ونظرات شاردة سائرة نحوه فوسم
بعقب السجارة وترجل من السيارة وبقي يراقبها بصمت حتى
وقفت أمامه وقالت بوجه مرهق من البكاء :

«أنا جاهزة للذهاب معك ..»

(نادر) : هل أنت بخير ..؟

(منى) : نعم .. لقد رأيت نور الحقيقة بعد ما رفعت كفي للسما لادعو
الله أن يهديني لها .. وقد استجاب لدعائي في الحال

